# معاملة السفراء الدبلوماسيين
# في العصر البيزنطي الباكر

**د. منال محمد السيد**
**مدرس تاريخ العصور الوسطى**
**كلية الآداب– جامعة بني سويف**

**ملخص البحث**:

معاملة السفراء والدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر تعددت وتنوعت السفارات بين مختلف الدول التي عاصرت الإمبراطورية الرومانية، وكانت هذه السفارات تؤدي أدواراً متعددة من نقل الرسائل إلى إدارة المفاوضات، والسفراء أنفسهم قد يكونوا مجرد ناقلي رسائل وكثيراً منهم كانوا مفاوضين.

فمن الجدير بالذكر أن السفير أثناء تفاوضه مع الحاكم المرسل إليه عليه أن ينفذ التعليمات المعطاه له بشكل رسمي وكامل ولا ينحرف عنها بأي حال من الأحوال، لأن أية تصرفات فردية يقوم بها السفير خارج نطاق المهمة الدبلوماسية المضطلع بها، يمكن أن تعد تقصيرًا في المهمة وقد تصل إلى حد الاتهام بالخيانة، ويمكن إقرار عقوبات بشأنها في حالة فشلها، أما في حالة نجاح السفارة في مهمتها، فكان من شأنه أن يمنح السفير امتيازًا للحصول على ألقاب تشريفية، والارتقاء الاجتماعي، والحصول على مكانة واكتساب نفوذ في البلاط ذاته، كذلك كان من الممكن أن يحظى السفير بتشريف مماثل في البلاط المرسل إليه، ومن ثم يحصل على الهدايا والمعاملة اللائقة، وإقامة علاقات صداقة.

وبالرغم من الدور الحيوي الذي لعبته الدبلوماسية البيزنطية في العصر الباكر للدولة البيزنطية، إلا أنها لم تنل حظًا وافرًا من الدراسات ومن حسن الطالع أنه وجدت مجموعة من الأبحاث تتناول أغراض السفارة ونتائجها، وأحيانًا ذكر أسماء أعضاء السفارة ومكانة كل منهم، والمعايير والشروط الواجب توافرها في السفير، وهناك دراسة متميزة عن معايير اختيار السفراء في العصر البيزنطي الباكر، تناولت باستفاضة

الشروط الواجب توافرها في السفير، في حين لم توجد دراسة قائمة بذاتها. عن أساليب وطرق معاملة هؤلاء السفراء، وما يمكن أن يتعرضوا له في البلاط المرسلين إليه. ومن هذا كان اهتمام هذا البحث بدراسة الأساليب والإجراءات والطرق المتبعة في استقبال السفراء في العصر البيزنطي الباكر، وما كانوا يتعرضون له في البلاط المرسلين إليه. كما سيتطرق البحث أيضًا ما كان متبعًا في استقبال السفراء بالدول المجاورة للدولة البيزنطية.

يتضح انه على الرغم من وجود الأسس والقواعد التي على أساسها يتم التعامل مع السفراء، والتي أقرت باحترامهم ومعاملتهم معاملة تليق بمكانتهم ومكانة الحاكم الذي أرسلهم، فأصبح السفير بذلك يتمتع بالحصانة والحماية في البلاط المرسل إليه. إلا أن هذه القواعد وتلك الأسس لم تحترم من جانب الممالك البربرية وتلك التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية، حيث أخترقت ولم يلتزم بها. الأمر الذي جعل بعض السفراء يتعرضون للمعاملة السيئة من تجاهل وعدم المقابلة، كذلك تعرض بعضهم للسجن والقتل، أو الشك في أمرهم، ووضعهم تحت الحراسة المشددة، ومطالبتهم بالتخلي عن أسلحتهم.

كما أتضح أيضًا أن هذه المعاملة المسيئة للسفراء كانت تحدث عندما تكون العلاقات متأزمة بين البلدين، فيتم التعامل مع السفير بأسلوب غير لائق. أما في حالة وجود علاقات سلمية وودية بين الطرفين كان يعامل السفراء معاملة حسنة ويتم استقبالهم بحفاوة وترحاب.

## Dealings with the Ambassadors and Diplomats during the Early Byzantine Era

During the Roman Empire era, There were various and different embassies. These embassies played several roles ranging from delivering correspondences to managing negotiations. Ambassadors themselves were sometimes mere deliverers of correspondences, but most of them were also negotiators.

During his negotiations with the hosting governor, the ambassador had to follow the precise instructions given to him in a complete official manner. The ambassador must not, under any circumstances, make any personal decisions for this could have been considered failure or even treason which may have resulted in severe punishment if the ambassador failed his mission. However, in case the embassy was successful, the ambassador may have received honoring titles, socially promoted, or gained status in court. The ambassador may also have gained similar honors in the hosting court, received gifts, and started prestigious friendships.

Despite of the vital role which the Byzantine diplomacy played in the early Byzantine era, it was not studied thoroughly. Fortunately, I have found a number of researches about the purposes and achievements of embassies. Sometimes, names of embassy members, their ranks, and the qualities ambassadors

should have were mentioned. There is an outstanding study about the criteria upon which ambassadors were chosen in the early Byzantine Empire era. This study stated, in detail, the qualification the ambassador must possess. However, there was no separate study about the reception of these ambassadors and what they might have experienced in the hosting courts. Thus, the researcher's main attention was focused on the ways and procedures of ambassadors' reception in the early Byzantine Empire era as well as what they might have experienced in the hosting courts.

Apparently, despite the rules and regulations of receiving ambassadors which stated that ambassadors should be revered and dealt with in a manner that suited the stature of the ambassador and his emperor which gave ambassadors immunity and protection in the receiving court, these rules and regulations were preached by the Barbarians. Ambassadors were sometimes neglected and kept waiting. Some of them were kept in detention, imprisoned, asked to surrender their weapons, or even executed.

This inappropriate treatment was often the case when there was tension between the two countries. However, if there were peaceful relations between the two parties, ambassadors were dealt with in an honorable manner and received respectfully.

**المقدمـــة** :

تعددت وتنوعت السفارات بين مختلف الدول التي عاصرت الإمبراطورية الرومانية، وكانت هذه السفارات تؤدي أدوارًا متعددة من نقل الرسائل إلى إدارة المفاوضات، والسفراء أنفسهم قد يكونوا مجرد ناقلي رسائل وكثيرًا منهم كانوا مفاوضين(١).

فمن الجدير بالذكر أن السفير أثناء تفاوضه مع الحاكم المرسل إليه عليه أن ينفذ التعليمات المعطاه له بشكل رسمي وكامل ولا ينحرف عنها بأي حال من الأحوال، لأن أية تصرفات فردية يقوم بها السفير خارج نطاق المهمة الدبلوماسية المكلف بها، يمكن أن تُعد تقصيرًا في المهمة وقد تصل إلى حد الاتهام بالخيانة، ويمكن إقرار عقوبات بشأنها في حالة فشلها(٢). أما في حالة نجاح السفارة في مهمتها، فكان من شأنه أن يمنح السفير امتيازًا للحصول على ألقاب تشريفية، والارتقاء الاجتماعي، والحصول على مكانة واكتساب نفوذ في البلاط ذاته، كذلك كان

---

(1) Mathisen, R. W., " Patrici, episcope, et sapientes: le choix des ambassadeurs Pendant l'antiquité tardive dans l, empire romain et les royaumes barbares ", in: Ambassadeurs at ambassades au Coeur les relations diplomatiques, Rome-Occident Médiéval – Byzance (VIIIe s – avant J.- C.- XIIe s. apres J.-C), ed. A Becker & N Drocourt, Metz, 2012, pp. 227-238, p. 227.

- السفير : بمعنى الرسول وهي كلمة مشتقة من الإرسال والتوجيه والإطلاق، وتتضمن إيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة وللإصلاح بين القوم، وكانت مهام السفير في غالبيتها على قدر كبير من المسئولية، وكانوا يبعثون لإنجاز مهام تتفاوت بتفاوت ظروف الحكام والدول والإمارات التي يمثلونها، وللتفاوض من أجل القتال وعقد الصلح، وإطلاق سراح من وقعوا في الأسر، أو تسوية خلافات دولتين أو رعاية المصالح الاقتصادية. للمزيد من التفاصيل، انظر: عمر كمال توفيق: الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، دراسة تحيلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي (٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢٩١م)، الإسكندرية ١٩٨٦م، ص١١٨، ١٢٠.

(2) Menander, The History of Menander the Guardsman, trans. R. C. Blockley, Liverpool, 1985, P. 103, 105; Nachaeva, E, Embassies, Negotiations, Gifts: Systems of East Roman Diplomacy in Late Antiquity, Stuttgart, 2014, p. 51.

من الممكن أن يحظى السفير بتشريف مماثل في البلاط المرسل إليه، ومن ثم يحصل على الهدايا والمعاملة اللائقة، وإقامة علاقات صداقة[١].

وقد أمدنا الإمبراطور قسطنطين السابع Constantine VII (٩١٢-٩٥٩م) بمعلومات قيمة عن الدبلوماسية البيزنطية في القرن العاشر تركها ضمن ما ترك من مؤلفات، في كتابه الرائع عن الإدارة الإمبراطورية De administrando Empire الذي ألفه حوالي عامي ٩٤٨-٩٥٢م، ووجهه إلى ابنه رومانوس الثاني Romanus II (٩٥٩-٩٦٣م)، ليعلمه فن الحكم وكيفية التعامل مع الشعوب المجاورة للإمبراطورية، ويعتبر هذا الكتاب عملاً رائدًا في فن السياسة وقواعد الدبلوماسية البيزنطية، وتصورًا مفصلاً لرؤية القسطنطينية للعالم المحيط بها سماه ببساطة من قسطنطين إلى ابنه رومانوس؛ فكان من وجهة نظر الإمبراطور عملاً بالغ السرية، وليس مسموحًا لأحد بالاطلاع عليه، إلا لعدد محدود من الدبلوماسيين، وهذا العمل مقسم إلى أربع أقسام، القسم الثاني تناول فن الدبلوماسية[٢].

وبالرغم من الدور الحيوي الذي لعبته الدبلوماسية البيزنطية في العصر الباكر للدولة

---

(1) Delgado, A. F., " Capitis Deminutio: Exile Banishment and Punishments to Ambassadors during Justinian's Era ", Porphyra - Confronti su Bisanzio, I, a cura di Elodie Guilhem: Rencontres annuelles des doctorants en études byzantines, 2012, PP. 40-61, P. 46.

(٢) رأفت عبدالحميد: قواعد الدبلوماسية البيزنطية، بحث منشور في كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، طبعة أولى ١٩٩٧م، ص١١٢، ١١٣.

- قسطنطين السابع : كان يلقب بورفيروجنيتوس Porphyrogenitus أي المولود في الحجرة = =الأرجوانية وهو الابن الوحيد لليو السادس من رابع زوجاته زوى، وبالرغم من أن البطريرك نيكولاس الأول رفض الاعتراف بهذه الزيجة، وأنكر شرعيته، إلا أنه لما مات الكسندر شقيق ليو في ٩١٣م قام البطريرك بالوصاية على قسطنطين ثم تولت الوصاية عليه الأم زوى، وبعدها بفترة قصيرة أصبح رومانوس الأول، قائد الأسطول الروماني وصيًا على قسطنطين حتى استطاع أن ينفرد بالحكم، وكان أديبًا ودبلوماسيًا ناجحًا، توفى عام ٩٥٩م وترك العرش لولده رومانوس الثاني. انظر: دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص١٣٥-١٣٧.

البيزنطية، إلا أنها لم تنل حظًا وافرًا من الدراسات [١]. ومن حسن الطالع أنه وجدت مجموعة من الأبحاث تتناول أغراض السفارة ونتائجها، وأحيانًا ذكر أسماء أعضاء السفارة ومكانة كلا منهم[٢]، والمعايير والشروط الواجب توافرها في السفير، وهناك دراسة متميزة عن معايير اختيار السفراء في العصر البيزنطي الباكر، تناولت باستفاضة الشروط الواجب توافرها في السفير[٣].في حين لم توجد دراسة قائمة بذاتها عن أساليب وطرق معاملة هؤلاء السفراء، وما يمكن أن يتعرضوا له في البلاط المرسلين إليه. ومن هنا كان اهتمام هذا البحث بدراسة الأساليب والإجراءات والطرق المتبعة في استقبال السفراء في العصر البيزنطي الباكر، وما كانوا يتعرضون له في البلاط المرسلين إليه، كما سيتطرق البحث أيضًا ما كان متبعًا في استقبال السفراء بالدول المجاورة للدولة البيزنطية.

فقد لعبت المراسم الرسمية في العصر البيزنطي الباكر دورًا هامًا وكبيرًا في الحياة السياسية، فبالنسبة للسفراء الدبلوماسيين كانت المراسم وآداب التعامل تركز بشكل أساسي على استقبال وإرسال السفراء الرسميين وتنظيم سلوك السفراء، ومن يستقبلونهم، فيمكن القول إنه بحلول القرن السادس الميلادي، كانت مراسم البلاط الاحتفالية قد زادت بشكل ملحوظ، حتى أنه أصبح من الممكن القول بأنها اهتمت بضرورة أن يتم إرسال واستقبال السفراء بشكل

---

(١) رأفت عبدالحميد : قواعد الدبلوماسية البينزطية، ص١١٢، ١١٣.

(2) Mathisen, Patrici, p. 227.

(٣) انظر: عبدالعزيز رمضان : معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر، بحث منشور في حولية مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، أبريل ٢٠١٦م

- من الملاحظ أنه كان يتم اختيار السفير بناءً على عدة صفات لابد أن تتوافر فيه منها الخبرة والقدرة البلاغية والإقناع والكفاءة وأن يكون ممن يحملون المناصب الكبرى مثل القناصل والبطارقة، والأطباء والفلاسفة وغيرهم ممن يتمتعون بمنزلة ومكانة كبيرة.

Mathisen, Patrici, p. 227-233 .

مشرف وبمنتهى الكرم وأن يحترم الجميع السفراء لأقصى درجة[١].

كما وضعت الأسس بين الدول التي على أساسها تم التعامل مع السفراء، ومنها الاحترام الواضح والحماية المكفولة للمبعوثين، بوصفهم ممثلين لحاكمهم الموقرين. وكان أمرًا جوهريًا، لأنه بدونها يستحيل إجراء أي نوع من المفاوضات بين كيانين مختلفين وفي هذا السياق، فإن مفاهيم حسن الضيافة، وحرية التحرك، والصداقة الخاصة، التي أضفى عليها صفة مقدسة متفق عليها في العالم الروماني المتأخر وتم تضمينها في المراسم، فقد سَهلت التبادلات الدبلوماسية، وأسهمت في جعلها نوعًا من الدبلوماسية الشخصية، كذلك حصانة السفير retigio وكان لهذا المفهوم طبيعة مقدسة، دعمت أوائل العصر الإمبراطوري بقوة القانون. من أجل ذلك كان السفير بوصفه الممثل الرئيسي للسناتو، يُعد محصنًا، وبحلول القرن السادس كانت حرمة السفير مدعومة بتمثيله الشخصي[٢].

وعلى هذا الأساس كان اسم السفير فقط يمنح الحماية له خلال رحلته، فمثلاً عندما هدد أتيلا Attila ملك الهون (٤٣٣-٤٥٣م) أحد المترجمين المصاحبين للسفير الروماني بريسكوس Priscus بالاعتقال، فما كان من السفير بريسكوس أن رد على أتيلا قائلاً إن مثل هذا العقاب ينتهك السفراء، ولا يحترم حصانتهم، كما أن السفير بروكوبيوس Procopius، أوضح لملك القوط الغربيين توتيلا Totila

---

(١) ونظرًا لدور السفير الهام في ذلك الوقت، فكان على السفراء أن يؤهلوا ويدربوا قبل الخروج بسفاراتهم، كما كان يتم اختبار السفير، ليثبت كونه مؤهلاً لهذه المهمة، حيث تعرض عليه بعض الموضوعات، ويسأل عن كيفية التعامل مع كلا منها، تحت ظروف مختلفة، كما كان يتم فحص السفراء بوجه عام، وحتى خلال السفارة نفسها، كما كان يتم مراقبتهم والتجسس عليهم للتأكد من أنهم يعملون لصالح الإمبراطورية.

Nechaeva, Embassies, p. 34, 126, 127.

(2) Delgado, Capitis, P. 46, 47.

(٥٤١-٥٥٢م) عام ٥٣٤م أنه لابد من احترام وتوقير السفراء، لأنهم ساروا فئة محترمة بين سائر الشعوب[١].

ومن ثم أصبح السفراء يتمتعون بالحماية سواء بقوة القانون أو بقوة العُرف، الذي غالبًا ما كان لا يقل عن قوة القانون لكونهم سفراء في مهام دبلوماسية وممثلين لشخص الدولة المرسلة، فكانوا يتمتعون بالحماية ولا يخضعون إلا لسلطة حاكمهم، ولذلك أعتبرت أي إهانة أو اعتداء على السفير يمثل إعتداءً على حاكمهم، ويمثل خَرقًا لهذا القانون، وفرضت عقوبة قاسية على ذلك[٢]. ونتيجة لهذه المكانة المرموقة التي تمتع بها السفراء الأجانب المرسلين من وإلى القسطنطينية كانوا يُمنحون عدة امتيازات منها المسكن والرعاية، كجزء من قواعد بروتوكول الصداقة والضيافة[٣].

ولم يقتصر الأمر على هذه الأسس وتلك القواعد، بل نص البند الرابع من المعاهدة التي عقدت بين الفرس والإمبراطورية الرومانية عصر الإمبراطور جستنيان Justinian (٥٢٧-٥٦٥م) عام ٥٦٢م والتي عرفت باسم معاهدة الخمسين عامًا، على حسن معاملة السفراء واحترامهم، وتقديرهم، وإكرامهم وفقًا لمكانتهم ومنزلتهم، وأن يلقوا الاهتمام المناسب واللائق بهم وينبغي إعادتهم مع مرافقيهم إلى بلادهم دون تأخير[٤]. كما أصدر بعض الأباطرة عدة مَراسيم ليضمنوا بها حماية السفراء الذين

(1) Delgado, Capitis, p. 47, 48.
(2) Delgado, Capitis, p. 49.
(3) Delgado, Capitis, p. 49.
(4) Menander, The History, p. 71; Nechaeva, Embassies, p. 40.

- كان من الطبيعي أن يصاحب السفارة المترجمون. ولا توجد إشارات كثيرة في المصادر عنهم، بالمقارنة بالسفراء، ويرجع السبب في قلة المعلومات عنهم إلى مكانتهم الأدنى ودورهم الأقل مقارنة بالسفراء، وليس بسبب مشاركتهم النادرة في السفارات، وكانت وظيفتهم توفير ترجمة للسفراء الأجانب في البلاط الإمبراطوري، وترجمة الوثائق والمعاهدات، مثال ذلك : المترجم براديوسيوس Braducius الذي جاء في سفارة ايزديجوسناس Isdigousnas إلى الإمبراطور جستنيان وكسب إعجاب الإمبراطور، حيث

يُرسلون في بعثات دبلوماسية، فكانت تلك المراسيم بمثابة توصية واعتماد لهؤلاء السفراء وحماية لهم من الطريقة الجافة وأحيانًا القاسية التي كان يُعامل بها هؤلاء السفراء المرسلون من وإلى الإمبراطورية البيزنطية(١).

مما لاشك فيه أن كثيرًا من السفراء الذين تبادلوا السفارات بين الإمبراطورية الرومانية وبين الممالك المجاورة قد قوبلوا بالترحاب والحفاوة وأُغدقت عليهم الهدايا والتشاريف، كما استقبلوا وفقًا لمراسم رسمية، منذ أن يتم الإعلان عن زيارة السفير، وحتى يصل إلى القصر الإمبراطوري، ويتمكن من مقابلة الإمبراطور نفسه، فكان ذلك يمر بعدة مراحل وإجراءات غاية في الدقة.

فعندما كان يتم الإعلان عن زيارة سفير رسمي رفيع المستوى، كان ينبغي لرئيس دواوين الحكومة المعروف باسم ماجستير أوفيكيوروم Magister officiorum أن يرسل إلى الحدود أحد موظفي البلاط أو موظف رفيع المستوى أو إذا لزم الأمر أحد النبلاء أو من يراه مناسبًا لاستقبال السفير استقبالاً مشرفًا، ويقوم الشخص الذي يقع عليه الاختيار باستقبال السفير وإرشاده حيثما يذهب، ويقدم له التحية(٢)، ثم يُسلم للسفير

---

أمره الأخير بالجلوس معه على مائدة الطعام وهذا الأمر لم يحدث لمترجم من قبل.

*Procopius, History of the Wars*, 5 vols., ed. &, trans. H. B. Dewing the Loeb Classical Library, Cambridge Mass, London, 1992, vol. 1, p. 527.

(1) Nechaeva, Embassies, p. 62.

(2) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, trans. A . Moffatt & M-Tall Canberra, 2012, p. 398, Boak, A. E. R., The Master of the Offices in The Later Roman and Byzantine Empires, New York, London, 1919, p. 93, 94.

- الماجستير : لا نستطيع اغفال دور هذه الوظيفة المهمة التي أُنشأت في بداية القرن الرابع الميلادي، كرئيس لحرس القصر، وهيئات متعددة من خدم القصر ومرشدي الضيوف إلى أماكن جلوسهم.

Boak, The Master, p. 98, Lee, A. D, Information and Frontiers: Roman Foreign Relations in Late Antiquity Cambridge, 1993, p. 116.

كما كان الماجستير يشرف على صناعة الأسلحة، وإدارة الشئون المدنية، والبريد العام، إلا أنه في عهد الإمبراطور أركاديوس (٣٩٥-٤٠٨م) تجرد من الإشراف على هذه الوظائف، واقتصرت سلطته ونفوذه

خطاب الإمبراطور أو الماجستير، وفي حالة عدم وجود خطاب مع هذا الموظف، يقوم بالترحيب بالسفير ودعوته شفاهة للحضور مع حاشية الإمبراطور بطريقة لائقة(١).

وإذا كان السفير قادمًا من جهة الفرس كان يجب على القادة الموجودين في دارا Dara(٢) أن يقابلوا السفير مع جنودهم على الحدود وأن يستقبلوه هو ورجاله ثم يتم مناقشة ما ينبغي أن يُناقش على الحدود في حضور قوة من الفرس التي تأتي عادة مع السفير، وعندما تنتهي المناقشة يتم استقبال السفير ومرافقيه من قبل الرومان، أما القوة التي معه فتظل داخل الحدود الفارسية، ثم يذهب السفير ومرافقوه إلى داخل دارا ليتم استضافتهم، وكان على حاكم دارا أن يكون متيقظًا وحذرًا حتى يتأكد من عدم

---

على استقبال السفراء، وعرضهم على الإمبراطور وتوفير كل ما يحتاج إليه السفراء طوال فترة إقامتهم.
John Lydus, on Powers or the Magistarcies of the Roman State, trans, A. C. Bandy, Philadelphia, 1983, p. 121-123, 142.

ولكن خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين كانت الدبلوماسية بلا شك أحد اهتماماته الخاصة، الأمر الذي جعله يوصف بكونه أشبه بوزير الشئون الخارجية، بحيث أصبحت وظيفته تنحصر في كونه الوسيط المنتظم بين الإمبراطور الروماني والحكام الأجانب، كما كان يدير الاجتماعات داخل القصر ولا يستطيع أحد أن يدخل على الإمبراطور إلا بإذنه، ومن ثم كان طبيعيًا أن يكون الماجستير هو الشخص الذي يستقبل السفراء الأجانب، ومن خلاله كان باستطاعتهم التواصل مع الإمبراطور أو الحصول على إذن بلقائه، وكان هؤلاء السفراء تحت إشراف الماجستير منذ وقت عبورهم الحدود الرومانية وحتى مغادراتها. Boak, The Master, p. 35, 93

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 399. Nechaeva, Embassies, p. 36.

- من الجدير بالذكر أن المبعوثين كانوا يرفضون تسليم الرسائل التي يحملونها لأي موظف غير الماجستير، فقد رفض سفراء الآفار عام ٥٧٩م أن يسلموا رسائلهم إلى أي موظف داخل الإمبراطورية الرومانية، وأصروا على تسليمها للماجستير. Boak, The Master, p. 93

(٢) دارا : هي إحدى المدن الواقعة على الحدود بين دولة الفرس والإمبراطورية البيزنطية. يقول ياقوت الحموي إنها تقع بين نصيبين وماردين. انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان، طبعة بيروت ١٩٦٨م، ج٢، ص٤١٨.

تسلل القوة الفارسية إلى دارا والاستيلاء عليها بالخداع[١].

وقبل أن يصل السفير إلى القسطنطينية يجب أن يُجهز له مكانٌ للإقامة بما يتوافق مع رتبته ورتبة مرافقيه، حيث يُجهز المسكن بالأسرة وملابس النوم والمواقد والمدافئ والدلاء لحمل المياه ولأغراض النظافة الأخرى. كما يقوم مسؤول ممتلكات الإمبراطور بتوفير مراتب الأسرة بناءً على أمر الماجستير. أما حاكم المدينة فيقوم بتوفير الأسرة والأواني والأوعية والطاولات الصغيرة وفقًا لما طلبه الماجستير. أما عمال المخزن فيوفرون المواقد النحاسية.

ولم تقتصر التجهيزات على ذلك فقط بل ينبغي أن يكون هناك حمامٌ مجهزٌ وقريبٌ من المسكن ليستخدمه السفير ومرافقوه متى يشاؤون، ويكون هذا الحمام مخصصًا لهم فقط[٢].

ومن الجدير بالذكر أن أحد النبلاء كان يتحمل تكلفة الرحلة لذهاب السفير الرسمي إلى القسطنطينية ولعودته. وكان المبعوث في بعض الأحيان بطيئًا في رحلته وبالتالي يصدر الإمبراطور أوامره بزيادة الأموال التي تعطى له، وكان يتم تسجيل هذه النفقات في سجل خاص بالسفراء.

كما كان هناك خمسة أحصنة وثلاثون بغلاً مخصصة للسفير، وفي حالة إذا رغب الإمبراطور في استضافة السفير الرسمي، فإنه يصدر أوامره بزيادة الأموال المدفوعة للسفير وإذا رغب في تكريمه فإنه يرسل لاستقباله أشخاصًا ذوي سمعة حسنة، ويقدم له الطعام، كما يرسل إلى حاكم نيقية (بآسيا الصغرى) Nicea رسالة يوصيه فيها بالعناية بالسفير وحسن استضافته.

(1)Constantine Porphyrogennetos,The Book of Ceremonies, I, p. 399.
(2) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 401, 402.

وعندما يصل السفير إلى هيلينوبلس Helenoplis يجب أن تكون الحيوانات والسفن المخصصة للتنقل في انتظار السفير، إذا رغب أن يرحل إلى نيقوميديا، وقد يرغب أيضًا في الذهاب على متن السفينة المخصصة له. وعندما يذهب السفير إلى خلقدونية Chalcedon يجب على الماجستير أن يوفر له مكانًا لإقامته هو ورجاله، كما يجب أن يرسل جنديًا للبرابرة لتوفير نقود كافية للتكاليف المتوقعة للأيام التي سوف يقضيها في كالسيدون كما يرسل إليه الهدايا أيضًا(١).

ولم يكتف الماجستير بكل ذلك بل كان عليه أن يرسل رسالة مع سكرتير المراسلات Magister Epistularum إلى السفير يسأله عن رحلته، وعما إذا كان متعبًا أم لا وهل أُستضيف بطريقة مناسبة ووجد الترحيب اللائق به أم لا ؟ وهل كان هناك شيءٌ ناقصٌ في الطريق ؟ وهل تم إهمال أي شيء ؟ ويقول له " لقد كلفنا سيدنا أن نفعل كل شيء في استطاعتنا، لحسن استضافتك فإذا كان شيءٌ قد تم إهماله فهذا خطأنا. وعليك أن تخبرنا حتى نصحح ما أغفلناه "(٢).

كما كان يرسل الماجستير هدايا صغيرة مع أحد الجنود، وجرت العادة أن يرسل السفير بدوره رسالة للماجستير محييًا إياه، وكان على الماجستير الترحيب بحامل رسالة السفير وإعطاء الرد المناسب على تحية السفير، ثم يخبره الماجستير من خلال من أرسله برسالته يقول "استعد

---

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p.400, 401.
(2)Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 402,403; Boak, The Master, p. 94.

- سكرتير المراسلات : يختص بالاتصالات مع الوفود الخارجية أو الموظفين داخل الإمبراطورية للجهات الرسمية سواء شكايات أو مناشدة نصيحة الموظفين. وفي حالة السفارات يكون تابعًا للماجستير. Boak, The Master, p. 84
- من الجدير بالذكر أن استقبال السفراء كان محط اهتمام العامة خاصة إذا كان السفراء الأجانب ذوي مظهر غريب أو إذا كانوا من بلدان غير مشهورة، حيث يخرج الجميع لمشاهداتهم. Nechaeva, Embassies, p.42

نشاطك ثم عندما تصبح مستعدًا سوف أقوم بتحيتك ومقابلتك" . وكان السفير عادة يحضر لمقابلة الماجستير في اليوم الثاني أو اليوم الذي يليه بعد الإعلان عن قدومه مسبقًا ليقدم التحية للماجستير الذي يقوم باستقباله[١] تمهيدًا لمقابلة الإمبراطور.

وكانت مقابلة السفير بالإمبراطور تتم على عدة مراحل، وهي على النحو التالي.

**مقابلة الإمبراطور الأولى** :

**١ ) المرحلة التحضيرية :**

تُصدر الأوامر مساءً بوصول السفير، حيث يقوم المجلس الموقر (الذي يضم الشيوخ ووزراء الإمبراطور) باتخاذ اللازم لاستقبال السفير، فتُصدر الأوامر إلى المنادي بإحضار حاملي الرايات، حيث يتجمعون ويقفون في المكان المحدد لهم منتظرين في عرباتهم، ثم يتقدم مجموعة من الأشخاص يرتدون أردية حريرية ومعهم السفير ويدخل الجميع عبر الباب الملكي، لمقابلة الماجستير في قاعته[٢].

وحين يصل السفير إلى قاعة الماجستير بواسطة موظف يُدعى اديوتور adiutor، ويظل السفير ومن يرافقه منتظرين إلى أن يأذن لهم الماجستير بالدخول عليه، حيث يستقبلهم بلطف وود، ويقدم لهم الهدايا المناسبة[٣].

---

(1) Constantine Porphyrogennetos, Tne Book of Ceremonies, I, p. 402.

- كان الماجستير في بعض الأحيان يقدم هدايا دون المستوى، ويعامل السفراء بالعنف، مثال ذلك ما حدث مع سفراء الألمان عام ٣٦٥م حيث استاءوا من الهدايا الحقيرة التي قدمها لهم الماجستير، كما أنه عاملهم بعنف وقسوة الأمر الذي جعلهم ينسحبون لإعلان الحرب.

Ammianus Marcellinus, The Later Roman Empire A.D 354 - 378, trans. W.Hamilton Penguin Books, London, New York, 1986, p. 422; Boak, The Master, p. 93.

(2) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 404.

(3) Boak, The Master, p. 93; Nechaeva, Embassies, p. 38.

اديوتور : موظف تابع للماجستير مهمته استقبال السفير إذا كان ماجستير، حيث يقوم بإحضاره إلى

ثم يَسأل الماجستير السفير عن الهدايا التي جاء بها للإمبراطور حيث تُسجَل في قائمة خاصة لعرضها على الإمبراطور، كما كان على السفير أن يسلم الرسائل التي معه إلى الماجستير دون غيره، لتوصيلها إلى الإمبراطور(١).

وبعد ذلك يذهب الماجستير إلى الإمبراطور ويقدم له تقريرًا فيما يخص الهدايا ويسلمه قائمة الهدايا، ويظل السفير منتظرًا في حجرة الماجستير ثم يدخل بعد ذلك مرافقو السفير حيث يستقبلهم وزراء الإمبراطور(٢).

**٢ ) مرحلة المقابلة في مجلس وزراء الإمبراطور :**

ينبغي للماجستير تحضير مجموعة من الجنود المسلحين والمرتدين زيًا أبيض اللون ومجموعة من الغلمان ليتبعهم السفير ومرافقوه؛ ثم يخرج الإمبراطور من غرفته ويسبقه النبلاء ويجلس في مجلس الوزراء، حيث يدخل السفير ومن معه، ويكونون عادة مرتدين عباءات بنية قاتمة طبقًا للعادات. في هذه الحالة يقوم المنادي بإرشاد السفير حيث يطلب منه الانتظار أمام الحائط المواجه للستائر في قاعة مجلس وزراء الإمبراطور، ثم تفتح أبواب القاعة الثلاثة في حالة أن يكون من بين الهدايا المرسلة للإمبراطور تشمل أحصنة، كما يتم تعليق ستائر حريرية على كل باب، ثم يأمر الإمبراطور بدخول السفير ذاكرًا اسمه.

---

القصر الإمبراطوري. Boak, The Master, p. 94.

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 404; Boak, The Master, p. 93, 94; Lee, " Treaty – Making in Late Antiquit " in : *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. Ph. De Souza & J. France, Cambridge, 2008, pp. 107-119, p. 117.

- لعبت الهدايا دورًا كبيرًا في عملية التفاوض، فكانت شيئًا أساسيًا في السفارة من أجل تسهيل عملية التفاوض، وإقامة علاقات صداقة، وقد تنوعت هذه الهدايا فمنها من كان عبارة عن ذهب ومجوهرات ثمينة، والحرير الأصلي، وتحف غالية الثمن، ومنسوجات عالية الجودة وغيرها. للمزيد من التفاصيل، انظر : Nechaeva , Embassies, p. 163-204
- من الجدير بالذكر كثيرًا ما كان السفراء ينقلون رسائل شفهية، وخاصة سفراء الهون لأنهم كانوا أُميين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة. Procopius, *History*, vol. v, p. 247

(2) Lee, Treaty-Making, p. 117; Nechaeva, Embassies, p. 38.

وكان على أحد الموظفين أن يقوم بتبليغ أوامر الإمبراطور إلى المنادي، ويقوم المنادي بعمل لوحتين إحداهما مكتوبة بحروف كبيرة يسلمها لمنسق النظام في القاعة، والذي يسلمها بدوره إلى أحد الموظفين، حيث يتم قراءة اللوحة على الإمبراطور في غرفته، أما اللوحة الثانية فتعطى للماجستير، حيث يتسلمها مساعد الماجستير المعروف باسم Terticerius ويقف خلفه ويعلمه بما فيها(١).

وطبقًا لأوامر الماجستير يدخل ضابط سلاح الفرسان القاعة الصغيرة لمجلس وزراء الإمبراطور مصطحبًا معه الجنود المسلحين والمرتدين الزي الأبيض الذي يتقدمهم للأمام ويصطف بهم يمينًا وشمالاً أمام السفارة ويكون معه القناصل. في هذه المرحلة يخرج الضابط وإذا رأى أن السفير جاهز فإنه يصيح قائلاً " ليڤا Leva " حيث ترفع الستارة، ويقوم السفير الواقف بالخارج بتقديم الإجلال والإكبار للإمبراطور عن طريق الانحناء ثم النهوض، ثم يدخل عبر البوابة حيث يقدم الإجلال للإمبراطور مرة أخرى بالانحناء ثم النهوض ويكرر هذا الفعل مرة أخرى في منتصف قاعة مجلس الوزراء، ثم يتقدم عند الإمبراطور ويقف في منتصف القاعة، حيث يقدم تحيات الملك المرسل من قبله. وهنا يجب على الإمبراطور أن يسأل " كيف حال أخينا نحن نتمنى له الصحة الجيدة " ثم يقول للسفير ما يشاء. بعد ذلك يقول السفير " لقد أرسل لك أخوك الهدايا وأنا أدعو جلالتك لقبولها " فيسمح الإمبراطور بهذا. ويخرج السفير ثم يعود هو ورجاله حاملين الهدايا حيث يحمل السفير نفسه عباءة أو قطعة حلي أو أي شيء قيم ويحمل رجاله هدايا مشابهة، فيدخل كل منهم حاملاً شيئًا. حيث يقفون أمام الحائط المواجه لكرسي العرش خلف الستائر، وعندما يتم رفع الستار يقومون بالانحناء ثم ينهضون ويفعلون هذا الأمر ثلاث مرات(٢).

---

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 405, 406; Nechaeva, Embassies, p. 38, 39.

(2) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p.406, 407;

ثم يأتي موظف مسئول عن تقييم ونقل الهدايا إلى خزانة الإمبراطور وفقًا لأوامر الماجستير، ويجب على مسئول الخزانة أن يقوم فورًا بنقل هذا التقييم للماجستير حتى يعرف ما تم إحضاره وحتى يذكر الإمبراطور عند تبادل الهدايا بما قد يرسله في المقابل من خلال سفراء من قبله(١).

وبعد تقديم الهدايا، يقول الإمبراطور للسفير " فلتحصل على الراحة لأيام معدودة، وإذا كان هناك ما نناقشه، سوف نناقشه وأني سوف أرسلك لديارك بشكل لائق " وبعد أن ينتهي الإمبراطور من حديثه، يقوم السفير بتحيته ويقدم له الإجلال والاحترام ويكرره مرة أخرى، ثم ينسحب(٢).

**٣ ) المرحلة الختامية أو النهائية :**

يتم رفع الستار، ويقف ضابط سلاح الفرسان، ويصدر الماجستير أمره " انتقل " فيصطحب ضابط سلاح الفرسان الجنود المسلحين المرتدين الزي الأبيض، ثم يتحرك بهم إلى جهة القاعة الصغيرة لمجلس وزراء الإمبراطور، ثم ينهض الإمبراطور وتستمر باقي الإجراءات كالمعتاد، ويظل السفير في قاعة الماجستير حتى يحضر إليه الأخير ويطلب منه الانصراف(٣).

---

.Nechaeva, Embassies, p. 39.

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 407; Lee,= =Treaty-making, p. 117; Nechaeva, Embassies, p. 39.

- كان من المتبع أن تجهز الهدايا المناسبة عند مغادرة السفراء، حيث يقوم الماجستير بوضع قائمة من الهدايا للسفراء ومرافقيهم، وتعرض هذه القائمة على الإمبراطور، وبعد أن يوافق عليها الإمبراطور، يعمل الماجستير على تجهيزها، كما تجهز الخطابات التي يسلمها للسفراء لتوصيلها إلى حكامهم، والتي تتضمن ما أسفرت عنه هذه السفارة. Boak, The Master, p. 93, 94

(2) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 407.

(3) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 408; Nechaeva, Embassies, p. 39.

**مقابلة الإمبراطور الثانية** :

تتم على عدة مراحل أيضًا.

**١ ) المرحلة التحضيرية :**

وتتم هذه المرحلة كنظيرتها في المقابلة الأولى للإمبراطور.

**٢ ) مرحلة المقابلة في القاعة الكبيرة للقصر :**

يتم استقبال السفير الرسمي غالبًا في القاعة الكبيرة للقصر، وإذا كان مع السفير هدايا شخصية – أي يحملها للإمبراطور بصفته الشخصية – فإنه يطلب من الماجستير في اليوم السابق أن تُقبل وذلك في حالة إذا سمح الإمبراطور بهذا، ففي تلك الحالة يعرض السفير تلك الهدايا أمام الماجستير في قاعته وتُسجل في سجل، ثم يُعرض هذا السجل على الإمبراطور، ويحدث ما حدث في المرحلة الأولى حيث يدخل السفير ومرافقوه حاملين الهدايا لتقديمها للإمبراطور بالنظام السابق نفسه، ثم تُجرى مناقشة وحوار بين السفير والإمبراطور. ويبدأ الأخير نقاشه حول ما يرغب فيه ثم يُسمح للمبعوث بالانصراف.

على هذا النحو يكون اليومان الأول والثاني مخصصين لتبادل التحيات وتلقي الخطابات والهدايا.

**٣ ) المرحلة الختامية :**

ينتظر السفير بالخارج حتى يخرج الماجستير ويسمح له بالإنصراف[١].

**مقابلة الإمبراطور الثالثة** :

وفي اليوم الثالث يستدعي الإمبراطور السفير وتتم مناقشة الموضوعات الهامة التي من أجلها جاء السفير، وفي بعض الأحيان قد يُسمح للماجستير والمسئولين الآخرين بعقد

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 408, 409; Nechaeva, Embassies, p. 40.

مناقشات مع السفير بشكل منفصل[١]. وتُقرأ الرسائل التي يحملها السفير، ثم يذكر السفير التفاصيل والمعلومات الإضافية وفقًا للقواعد والأعراف المعتادة.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الرسائل يجب أن تكون محكمة الغلق ومختومة، حتى يتم التأكد من عدم فتحها أو إضافة شيءٍ عليها، وبعد انتهاء المفاوضات تُعطى الردود للسفراء الرسميين مثلها مثل الهدايا.

من العرض السابق يتضح لنا أن عملية استقبال السفراء في الإمبراطورية الرومانية الشرقية، كانت تُجرَى وفقًا لقواعد صارمة ومحددة، حيث انقسمت عملية الاستقبال إلى عدة مراحل كان لكل منها دلالاتها، وكانت تصحبها مراسم معقدة[٢].

ويمكن القول إن الغرض من المراسم التي كانت تتم في القصر كان لإبهار السفراء الأجانب بعلو الشأن والعظمة البيزنطية. وذلك للتأثير على الحكام الأجانب وسفرائهم، من أجل ذلك قُدمت العروض والمراسم[٣]، أثناء لقاء الإمبراطور فالنتينيان الأول Valentinian I (٣٦٤-٣٧٥م) مع السفير ماقريانوس Macrianus كان فالنتينيان يصطحب معه حشدًا من الموظفين

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 409; Boak, The Master, p. 95.

(٢) من الجدير بالذكر أن جزءً كبيرًا من التواصل الدبلوماسي ومن المفاوضات اعتمد على المراسلات الدبلوماسية، بمعنى تبادل الخطابات بين الحكام، وكانت أفضل وسيلة دبلوماسية في العصر البيزنطي، وكان الخطاب ذا سمات خاصة، ويتكون من: الافتتاحية البروتوكولية، وتشمل تضرعًا، وألقاب الحكام، واسم المستلم؛ ثم نص الخطاب، ويشمل غالبًا مقدمة قصيرة، وفكرة عامة عن موضوع النقاش؛ ثم الورقة الأخيرة، وتشمل غالبًا تحية قصيرة، وتوقيع الإمبراطور والتاريخ.
Nechaeva, Embassies, p. 41, 44, 45.

(3) Nechaeva, Embassies, p. 42.

- الملاحظ أن معاملة السفير واستضافته كانت تتوقف على منزلته ومرتبته، فقد كان المبعوث ذا مرتبة خاصة له أهمية في الاتصالات الدبلوماسية.
Nechaeva, Embassies, p. 118; Mathisen, Patrici, p. 229.

بمراتبهم المختلفة وسط عرض من الألوية العسكرية والرايات المتلألأة ويمكن مطابقة هذا مع لقاءات أخرى كثيرة على الجبهة الشمالية خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين. وبمجرد أن توقف الأباطرة عن الذهاب في حملاتهم بشخصهم تحول مركز هذا العرض إلى القصر الإمبراطوري(١).

حيث يستقبل الإمبراطور السفير، وكان أشهر هذه الاستقبالات الرسمية، استقبال السفراء الفرس في القسطنطينية من قبل الإمبراطور جستنيان عام ٥٦١م، فبمجرد دخول الإمبراطور إلى قاعة الاجتماعات، وجلوسه على العرش، أمر الماجستير بدخول السفراء الذين كانوا يقفون أمام أبواب القاعة منتظرين الدخول لمقابلة الإمبراطور، وعندما دخل السفراء وجدوا كافة أصحاب المناصب الكبرى يرتدون عباءات من الحرير الخالص، ودخل السفير عبر البوابة الإمبراطورية إلى غرفة الماجستير، فرحب به الماجستير وسأله عما إذا حمل معه من هدايا للإمبراطور، لكونه بحاجة إلى معرفتها كلها قبل دخولهم وأخذ بياناتها. وذهب الماجستير إلى الإمبراطور وأعطاه بيانًا بالهدايا بينما كان السفير منتظرًا في غرفة الماجستير، وعندما سمح لأصحاب المناصب الكبرى بدخول قاعة الاجتماع كان على سكرتير المراسلات والمترجمين الدخول مع السفير إلى قاعة الاجتماعات الكبرى، وقام السفير بتسليم الهدايا للحاشية، حيث أخذ خدام البلاط سائر الهدايا، وكان عليهم حملُها إلى غرفة الملابس الإمبراطورية مع بيان الماجستير، وعلى موظفي الغرفة إخبار الماجستير بقيمة هذه الهدايا بأسرع ما يمكن حتى يعرف قيمتها، وعندما تكون هناك فرصة لمبادلتها،

---

(١) اعتاد الأباطرة أن يتفاوضوا مع أعدائهم في ميدان المعركة خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين، والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن الإمبراطور فالنز Valens (٣٦٤-٣٧٨م) تفاوض مع القائد القوطي آثانريك Athanaric عام ٣٦٩م على قارب في منتصف نهر الدانوب، إلا أن هذه العادة انتهت بعد القرن الرابع الميلادي عندما توقف الأباطرة عن خوض المعارك العسكرية بأنفسهم وصاروا ملتزمين قصورهم أثناء المعارك على الأقل حتى منتصف القرن السابع الميلادي، ومن هنا ظهر دور الماجستير.
Lee, Treaty Making, p. 111. 112, 116

يستطيع أن يذكر الإمبراطور بما يحتاج أن يرسله ثانية مع مبعوثه الخاص[١].

ومن الملاحظ أيضًا أن بعض الحكام المجاورين للدولة البيزنطية اعتادوا استقبال السفراء الرومان في أجمل الأماكن، وأكثرها رفاهية وثراءً، لإبهار السفراء بعلو الشأن والعظمة[٢]. مثال ذلك عندما أرسل الإمبراطور جستين الثاني Justin II (٥٦٥-٥٧٨) سفراءَه إلى الترك، وأمر زيمارخوس Zemarekhnus القائد العسكري على مدن الشرق، أن يستعد لهذه المهمة، وحينما اتخذ كافة الاستعدادات للرحلة الطويلة، بدأ رحلته ومعه السفير مانياخ Maniakh، وما أن وصلوا إلى أراضي الترك اصطحبهم مجموعة من الترك إلى مجلس الخاقان سيزابول Sizabul في الجبل الذهبي، ثم اجتمعوا به على الفور، وكان جالسًا على عرش ذهبي بعجلتين، وقد ألقوا التحية على الخاقان وقدموا له الهدايا، كما جرى التقليد، وقد تلقاها منهم المكلفون بهذه المهمة. وبعد محادثة قصيرة بينهم عن الصداقة والتحالف مع الرومان تحولوا إلى الاحتفال، حيث أمضوا بقية اليوم، واحتسوا النبيذ، وبعد أن انتهى الاحتفال، رجعوا إلى مكان إقامتهم الذي خُصص لهم[٣].

وفي الصباح ذهبوا إلى خيمة مزخرفة بستائر حريرية متعددة الألوان، وبها تماثيل منصوبة ذات أشكال مختلفة، حيث كان الخاقان سيزابول جالسًا على أريكة مصنوعة بالكامل من الذهب، كما كان يوجد بهذا الكوخ أوعية ضخمة من الذهب، وأباريق ذهبية، ومرشات المياه، وبعد أن قدم السفراء التحية للخاقان بدأ الاحتفال، وتناولوا الطعام والشراب، ثم تحدثوا مع الخاقان في بعض الأمور الضرورية، وبعد فراغ حديثهم غادروا الخيمة. وفي اليوم التالي جاءوا إلى مقر آخر فيه أعمدة خشبية

(1) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, I, p. 404-407; Lee, Treaty Making, p. 117.
(2) Nechaeva, Embassies, p. 42.
(3) Menander, The History, p. 121

مذهبة وأريكة من الذهب الخالص مدعمة بأربعة طواويس مذهبة في واجهة هذا المبنى، وعبر فناء فسيح عربات تحتوي على أشياء فضية كثيرة، وأطباق وقدور، وعدد هائل من تماثيل وحيوانات من الفضة، لا تقل أبدًا عما يصنعه الرومان. الأمر الذي أدهش السفراء من شدة الثراء الذي يتمتع به الخاقان(١).

وظل السفراء الرومان وعلى رأسهم زيمارخوس في ضيافة خاقان الترك، حتى قرر الأخير أن يصطحب معه زيمارخوس وعشرين من رفاقه وخدمه، وهو يزحف ضد الفرس، أما بقية أعضاء السفارة من الرومان، فأمرهم بالعودة إلى إحدى المدن انتظارًا لعودة زيمارخوس. وفي ختام الزيارة أكرمهم الخاقان وأجزل لهم العطايا والهدايا غالية الثمن، كما قدم لزيمارخوس جارية جميلة(٢).

وفي المقابل كان الإمبراطور البيزنطي يستقبل السفير الأجنبي بالحفاوة والترحاب، بشكل مبالغ فيه يثير الدهشة، وهذا ما حدث عندما استقبل الإمبراطور جستنيان السفير الفارسي إيزديجوسناس Isdigousnas عام (٥٥٢م) بود زائد وتكريم وتشريف لم يلقه أحد من السفراء الآخرين، بل أنه أثناء الترفيه عنه سمح الإمبراطور للمترجم الذي جاء معه وهو براديوسيوس Braducius، أن يتكئ معه على الأريكة، الأمر الذي لم يحدث أبدًا من قبل، إذ لم ير أحدٌ قط مترجمًا يجلس بجوار الإمبراطور أو يأكل على مائدته معه، ثم سمح لهم بالإنصراف بطريقة أكثر تفخيمًا وتعظيمًا، تفوق بكثير الأسلوب التقليدي في التعامل مع السفراء، ولم يكتف الإمبراطور بكل ذلك بل منح هذا السفير العديد من الهدايا الثمينة والقيمة، كذلك أعطاه مبالغ كبيرة من

(1) Menander, The History, p 121.

(٢) من الجدير بالذكر بينما هم في مسيرتهم لمحاربة الفرس جاء للخاقان سفيرٌ من الفرس، وبعد أن تناول الجميع طعام العشاء، عامل الخاقان السفير الروماني ومن معه باحترام شديد وأجلسهم على أريكة أكثر تشريفًا، في الوقت نفسه الذي راح ينتقد الفرس، قائلاً إنه عانى منهم الكثير، ولذلك فهو في طريقه لمحاربتهم. Menander, The History, p. 121, 123

الأموال والذهب[١].

ومن الجدير بالذكر أن الأهالي غضبوا بشدة من معاملة جستنيان لهذا السفير، لأن الإمبراطور استقبله بحفاوة وترحاب، وأعطاه تشريفًا، وأظهر له اهتمامًا وودًا فائقًا، ليس هذا فقط، بل أنه لم يعامله كمجرد سفير ولكنه أمر بعدم وضعه تحت الحراسة والرقابة طوال فترة إقامته داخل الأراضي الرومانية، مثلما كان يحدث لأي سفير، وبذلك أصبح أيزديجوسناس يتحرك بحرية كاملة داخل القسطنطينية هو ومن معه، ويقابلون من يرغبون مقابلتهم، وكانوا يتصرفون كما لو كانوا في مدينتهم، دون أن يراقبهم أحد كما جرت العادة[٢]. ويبدو أن الإمبراطور جستنيان قام بكل ذلك حتى يتقرب من كسرى أنو شروان ويفوز بعقد هدنة معه ليتفرغ بعدها لمحاربة القوط الشرقيين في إيطاليا[٣].

وقد يصل ترحيب بعض الحكام بالسفير إلى حد خلع العباءة الملكية ومنحها للسفير، مثلما حدث عام ٣٥٨م عندما أُعجب كسرى فارس بفصاحة وبلاغة السفير الروماني يوستاتيوس Eustathius أثناء تناول الطعام، الأمر الذي دفع بالحاكم الفارسي إلى خلع عباءته وتاجه، ومنحهما للسفير، كما أن كسرى فارس ارتدى عباءة السفير. الأمر الذي أثار حفيظة وحقد كبار أفراد الحاشية، فأوعزوا إلى كسرى بأنه

(1) Procopuis, *History*, vol 1, p. 527.

(2) Procopuis, *History*, vol v, p. 213, 215.

- من الملاحظ أن السفراء كانوا يوضعون تحت الحراسة والمراقبة في البلاد المرسلين إليها، كذلك من جانب من أرسلهم للتأكد من أنهم يعملون لصالح حاكمهم، وينفذون أوامره وقد ظهر ذلك واضحًا منذ القرن السادس الميلادي. Nechaeva, Embassies, p. 42

(3) Vasiliev (A.), The Byzantine Eampire, Madison 1952, p. 138.

ليس إلا مجرد مشعوذ[١].

ومن الجدير بالذكر أن الحاكم كان يعامل السفير المرسل إليه بلطف وود وترحاب، ويغدق عليه الهدايا، عندما يكون هذا السفير معروفًا في ذلك البلاط المرسل إليه، وله علاقات صداقة بالموجودين وعلى رأسهم الحاكم. مثال لذلك السفير الطبيب روفينوس Rufinus الذي أرسله الإمبراطور جستنيان لعقد الصلح مع كسرى فارس عام ٥٣٣م، ولأن روفينوس كان معروفًا جيدًا في بلاط كسرى، لأنه أُرسل عدة مرات إلى البلاط الفارسي، بل كان صديقًا لوالد كسرى أنو شروان قباذ الأول Cabades I (٤٩٨-٥٣١م) وقد اعتاد هذا السفير أن يقدم الهدايا الكثيرة لكسرى ولرجال البلاط. من أجل ذلك، أُستقبل بالحفاوة والترحاب، كما لُبِيَ طلبه في عقد الصلح الذي عقد لمدة ست سنوات[٢].

يضاف إلى ذلك أن الملكة الأم والدة كسرى أنو شروان رحبت بهذا السفير ترحيبًا زائدًا، وعاملته بود واحترام، لأنه كان قد نصح قباذ بأن يجعل ابنه ملكًا من بعده، من أجل ذلك توسطت الملكة الأم لدى ابنها كسرى لعقد الصلح والتساهل مع روفينوس[٣].

---

(1) Eunapius, The Lives of the Sophists, trans, W. C. Wright, London, New York, 1922, p. 397-399 ;

عبدالعزيز رمضان : معايير اختيار المبعوثين، ص١٧، ١٨.

(2) Zachariah of Mitylene, The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene, trans F. J. Hamilton,& E. W, Brooks, London 1899, p. 230-231; Lee, Information, p. 46.

عبدالعزيز رمضان : معايير اختيار المبعوثين، ص٦٢، ٦٣.

- اعتاد الرومان أن يرسلوا الأطباء كسفراء إلى ملوك الفرس خاصة في عصر كسرى أنو شروان لمرضه، وشغفه بالأطباء، فيكونون أكثر تأثيرًا في التفاوض الأمر الذي يؤدي إلى نجاح السفارة. عن دور الأطباء في السفارات والتفاوض، انظر :

Blockely, R. C., " Doctors as Diplomats in the Sixth Century A. D. " Florilegium 2 (1980), pp. 89-100.

(3) Zachariah of Mitylene, The Syriac *Chronicle*, p. 231 ;

عبدالعزيز رمضان : معايير اختيار المبعوثين، ص٦٣.

يضاف إلى ذلك أن أتيلا دعى ماكسيمينوس Maximinus سفير الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني Theodosius II (٤٠٨-٤٥٠م)، إلى تناول طعام العشاء معه بخيمته وبالفعل دخل السفير ومرافقوه إلى خيمة أتيلا، وجلسوا بجواره ثم بدأوا يتناولون طعام العشاء الذي احتوى على أجود وأشهى أنواع الطعام والشراب، كما احتسوا النبيذ الجيد، وشاهدوا المهرج الذي كان موجودًا وقام بتسلية السفراء وإضحاكهم، وقد ألقى المهرج نكاته وكلامه المضحك بخليط من اللاتينية والهونية والقوطية، واستمر ذلك طوال الليل، حتى بزغ نور الصباح فطلب السفير ومرافقوه الانصراف، فسمح لهم أتيلا بالانصراف(١). ولم يقتصر الأمر على ترحيب أتيلا بالسفراء بل نجد أن زوجة أتيلا قامت بدعوة السفراء إلى تناول طعام الإفطار في منزل مدير شئونها، ورحبت بهم ترحيبًا حارًا(٢).

كذلك أرسل الإمبراطور ليو الأول Leo I (٤٥٧-٤٧٤م) سفيره تيلوجيس Telogius إلى القوط الشرقيين لإقرار السلام، فما كان من القوط إلا أن رحبوا بالسفير ترحيبًا كبيرًا، وأبدوا رغبتهم في أن يكونوا أصدقاءً للرومان(٣).

يضاف إلى ذلك زعيم إحدى القبائل التي تسمى "الأتراك" Turks وكانت تقيم في قلب

---

(1) Priscus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R. C. Blockley, Liver Pool, 1983, pp. 222-400, p. 283, 285, 289.

(2) Priscus, p. 291.

(3) Malchus, in: *The Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire*, trans. R. C. Blockley, Liver Pool, 1983, pp. 402-462, p.407.

- من الجدير بالذكر أن القوط كانت لهم طلبات لإقرار السلام، منها : (١) أن يتلقى زعيمهم ثيودريك (٤٨٩-٥٢٦م) ميراث الزعيم السابق أسبار Easpar. (٢) أن يسمح لهم بالإقامة في تراقيا. (٣) منح ثيودريك قيادة القوات التي كان أسبار يقودها. إلا أن الإمبراطور رفض الطلبين الأولين تمامًا، بينما وافق على الطلب الأخير. Malchus, p. 409

أراضي كسرى فارس، إلا أنها كانت موالية للرومان، قام بالترحيب بسفارة الإمبراطور جستين الثاني، وكانت هذه أول سفارة تُرسَل إلى هذه القبيلة. الأمر الذي أدى إلى تكريم زعيم قبيلة الترك بهذه السفارة وإغداق الهدايا عليهم ومعاملتهم معاملة حسنة طوال مدة إقامتهم بأراضيه، والتي استغرقت عامين، حتى أن السفراء تمكنوا من الحصول على تقرير مفصل عن هذه القبيلة والقبائل المجاورة، وطبيعة المنطقة التي يسكنونها، وعاداتهم وتقاليدهم(١).

كذلك نجد كسرى أنو شروان قد استقبل السفير الروماني أورانيوس Uranius بمزيد من الحفاوة والتقدير، كما أنعم عليه بأموال كبيرة، وجعله ضيفًا على مائدته، وأكرمه تكريمًا غير مسبوق، كما أقسم له أنه لم ير له نظيرًا(٢).

يضاف إلى ذلك أن ملك الوندال رحب ترحيبًا زائدًا بسفير الإمبراطور زينون Zeno (٤٧٤-٤٩١م) الذي يدعى سيفيروس Severus، وأغدق عليه الهدايا والأموال، إلا أن السفير رفض هذه الهدايا وطلب عوضًا عنها تسليمه الأسرى الأمر الذي جعل ملك الوندال يزداد إعجابه بهذا السفير ويمدحه، وبالفعل وافق على طلبه وسلمه كافة الأسرى(٣).

كذلك أثناء حصار توتيلا Totila ملك القوط لمدينة روما وما نتج عن هذا الحصار من مجاعة شديدة، جعلت عددًا كبيرًا من أهالي روما يطلبون من أحد

---

(1) John of Ephesus, *The Third Part of the Ecclesiastical History*, trans, R. P. Smith, Oxford, 1860, p. 424, 428.

(2) Agathias, *The Histories*, trans, J. D, Frendo, New York, 1975, p. 63 ; عبدالعزيز رمضان: معايير اختيار المبعوثين، ص٧١.

- ومن الملاحظ وكما سبق الإشارة أن كسرى أنو شروان كان مولعًا بالأطباء وكان أورانيوس هذا طبيبًا وفيلسوفًا الأمر الذي جعل كسرى يجلس معه ويناقشه في العديد من المسائل الخاصة بالعالم المادي، وظل كسرى معجبًا به حتى بعد أن عاد هذا السفير إلى وطنه فظل يراسله، وصارا صديقين، وكانت رسائل كسرى له مليئة بعبارات الود والاحترام، بل إنه أقسم أنه لم يجد له نظيرًا. Agathias, *The Histories*, p. 63, 67.

(3) Malchus, p. 411.

قساوسة روما ويدعي بلاجيوس Pelagius، أن يذهب إلى الملك توتيلا ويتفاوض باسمهم على تسليم المدينة وأن يؤمنهم على أنفسهم، وبالفعل ذهب بلاجيوس بسفارته إلى توتيلا، حيث تلقاه الأخير بالترحاب والاحترام والود الكبير قائلاً له " ثمة تقليد عام بين كافة الشعوب البربرية أن يوقروا السفير، ومن جانبي أحمل تكريمًا خاصًا لشخصك؛ فأمثالك يتسمون بالفضيلة "(١).

كما استقبل كسرى أنو شروان (٥٣١-٥٧٩م) السفير الروماني يوحنا John الذي أرسله الإمبراطور جستين الثاني، وقد قوبل بالتكريم والترحاب والود(٢). يضاف إلى ذلك أن أتيلا ملك الهون بالغ في الترحيب بسفراء الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني وهم أناتوليوسAnatolius ونوموس Nomus لدرجة أنه خرج بنفسه لاستقبالهم كنوع من التقدير والاحترام، كما أنه أمر بإطلاق سراح عدد كبير من الأسرى الرومان دون فداء تكريمًا للسفراء، ثم سمح لهم بالانصراف بعد أن أهداهم الخيول وجلود الحيوانات البرية التي يرتديها الملوك(٣).

والملاحظ أنه كان لسلوك السفير مع الملك المرسل إليه من أهم العوامل التي تؤثر في أسلوب استقباله والترحيب به. ففي عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني عندما غزا الفرس أراضي الإمبراطورية الرومانية، أرسل الإمبراطور قائد الشرق أناتوليوس Anatolius سفيرًا إلى فارس، وبمجرد اقترابه من الجيش الفارسي نزل من على جواده، وتقدم نحو فارارانيس Vararanes، كسرى فارس، وعندئذ سأل كسرى فارس قادته عن هوية القادم فأجابوه بأنه قائد الرومان، فسُر كسرى من شدة الاحترام والتقدير الذي أبداه السفير الروماني، فنزل هو الآخر عن فرسه، واستقبله بترحاب

(1) Procopius, *History*, vol IV, p. 283, 285.
(2) Menander, *History*, p. 99.
(3) Priscus, p. 299.

ومنحه معاهدة الصلح، وفقًا للشروط التي رغب فيها أناتوليوس[١].

وإذا كان أناتوليوس أظهر من الاحترام والتقدير ما جعل كسرى فارس يعجب به، فكان بعض السفراء يظهرون التملق والنفاق من أجل نجاح سفاراتهم وهو ما حدث في السفارة التي ضمت كلاً من الكسندر Alexander، وتوماس Thomas، وذلك عندما ذهبا للقاء كسرى أنو شروان، حيث بدأ السفراء يتملقون، ويتحدثون بكثير من كلمات النفاق التي لا تليق بسفراء رومان، وقد أتت هذه الكلمات وهذا النفاق بنتيجة طيبة فقد صار كسرى لينًا وعاملهم بلطف ومودة، ووافق على عقد الصلح معهم مقابل مبلغ من المال، وشرط أن ينسحب قائد الجيوش من مدينة دارا إلى القسطنطينية كما كان معتادًا من قبل[٢].

إلا أنه في بعض الأحيان كان الحاكم يتغاضى عن الأسلوب غير اللائق الذي يتحدث به السفراء، ويتركهم يعودون إلى بلادهم دون أن يتخذ معهم أية إجراءات عنيفة مثل السجن أو القتل[٣]. مثال ذلك أنه حضر إلى الإمبراطور جستين الثاني سفراء من قبل ملك الآفار، لتلقي الهدايا المعتادة التي كان الإمبراطور الراحل جستنيان يمنحها لهم. وما أن وصلوا إلى روما حتى طلبوا أن يقابلوا الإمبراطور، واستجاب لطلبهم، وعندما مثل السفراء الآفار بين يدي الإمبراطور راحوا يذكرونه بالهدايا التي أغدقها جستنيان عليهم نظير عدم إغارتهم على الأراضي الرومانية قائلين: "كانت لدينا القدرة على ذلك، وصرنا الآن أكثر قدرة، فقد دمرنا البرابرة المجاورين الذين كانوا يغيرون دومًا على تراقيا، ولم يعد أحد يجرؤ على الاقتراب من حدودها لمعرفته بصداقة الآفار للرومان، ومن ثم أنه عليك أن تدفع لنا أكثر من والدك لقد جئنا للحصول على هدايانا المعتادة، وعليك أن تدرك أن زعيمنا لن يستطيع

(1) Procopius, *History*, vol 1, p. 11; Dignas. B, Winter-E, *Rome and Persia in Late Antiquity: Neighbours and Rivals*, Cambridge, 2007, p. 136.
(2) Procopius, *History*, vol I, p. 203.
(3) Nechaeva, *Embassies*, p.50.

أن يكون صديقًا جيدًا لك وللإمبراطورية الرومانية إن لم تمنحه مسبقًا ما يمنعه عن مهاجمة الرومان". وهكذا أخذ السفراء الآفار في تهديد الإمبراطور جستين الثاني معتقدين أنهم بهذه الطريقة سيخيفون ويرهبون الإمبراطور، فيستجيب لابتزازهم(١). إلا أن جستين الثاني لم يستجب لتهديد هؤلاء السفراء، بل على العكس قام هو بتهديد السفراء وترهيبهم، حيث أوقع في قلوبهم الرعب والخوف، فأدركوا أنه لن يستجيب لطمعهم، بل ولن يمنحهم ما كانوا يتلقونه من قبل. فرحل السفراء دون الاستجابة لهم مع ملاحظة أنه رغم الأسلوب الحاد وغير اللائق وتهديدهم للإمبراطور إلا أنه لم يتخذ ضدهم أية إجراءات عنيفة، وتركهم يعودون من حيث أتوا(٢).

كما أن الحكام وخاصة الرومان كانوا يضعون السفراء ومرافقيهم بمجرد وصولهم إلى بلادهم تحت الرقابة الشديدة، ويتابعون تحركاتهم وتصرفاتهم لدرجة أنه لم يكن من السهل لأي سفير أن يفعل شيئًا دون رغبة أولئك المراقبين له، فلم يكن يسمح لهم بحرية التجول، والالتقاء بأي شخص أو الحديث مع أحد أو شراء أي شيءٍ، فهم مراقبون طوال الوقت(٣). مثال لذلك أن ثيوداتوس Theodatus ملك القوط الشرقيين، أمر بوضع سفراء الإمبراطور جستنيان تحت الحراسة، ومراقبة كل تصرفاتهم، وعين بعض الرجال، ليكونوا مسئولين عن ذلك، الأمر الذي أغضب الإمبراطور جستنيان واعتبرها إهانة لسفرائه، مما دفع الإمبراطور إلى توجيه أوامره لقائده بليزاريوس Balisarios، باجتياح إيطاليا والتعامل مع القوط كأعداء، مُنذ ذلك الوقت(٤).

من الجدير بالذكر أن الهدف الرئيسي من هذه القيود الموضوعة على السفراء،

(1) Menander, *History*, p. 93, 95.
(2) Menander, *History*, p. 95, 97.
(3) Delgado, "Capitis", p. 48, 49.
(4) Procopius, *History*, vol III, p. 65.

هو منع التجسس، وتقليل إمكانية فرص جمع المعلومات عن البلد المرسلين إليه[١]. ومن الملاحظ أنه لم يعف من هذه القيود وتلك المراقبة الشديدة إلا قليلاً من السفراء، منهم السفير الفارسي ازديجوسناس الذي أعطاه الإمبراطور جستنيان الحرية الكاملة كما سبق أن ذكرنا[٢]. كما أنهم لا يستطيعون المغادرة إلى أوطانهم في أي وقت، بل كانوا ينتظرون حتى يتم السماح لهم بالمغادرة رسميًا. فكان يُسمح للسفير بالعودة فقط إذا رأى الحاكم أن هذا ممكن. ويبدو أن هذه كانت القاعدة السائدة لدى الرومان، والفرس والبرابرة. وفي بعض الحالات، كان السفراء يبقون محتجزين في الإمبراطورية عن قصد. مثال ذلك احتجز القائد بليزاريوس السفراء القوط الشرقيين ومنعهم من العودة إلى بلادهم حتى تم السماح للسفراء الرومان الذين كانوا موفودين إلى ملك القوط الشرقيين بمغادرة إيطاليا[٣].

ولكن ما هي الأسباب التي جعلت بعض الحكام يقومون بمنع السفراء من العودة إلى بلادهم ؟

**يرجع هذا إلى عدة أسباب وهي:**

**أولاً** : تغيير الموقف والأوضاع العامة،

**ثانيًا** : الرغبة في إثارة أزمة بين البلدين.

**ثالثًا** : التأثير على أداء السفراء حيث يوضح لهم الحاكم ما يريد أن يعرضوه على حكامهم.

---

(1) Nechaeva, *Embassies*, p.49.

(2) Procopius, *History*, vol V, p. 213, 215.

(3) Nechaeva, Embassies, p. 44.

- ومن أمثلة ذلك: عندما أراد ملك القوط الشرقيين ثيوداتوس، تغيير رأيه في تنفيذ معاهدة مع الإمبراطور جستنيان، قام باحتجاز السفراء الرومان. مثال آخر : قبض القائد الروماني بليزاريوس على سفراء ملك القوط الشرقيين، ورفض إطلاق سراحهما، إلا إذا أطلق القوط سراح السفراء الرومان المحتجزين عند ملك القوط. Procopius, *History*, vol III, p.61, 65, vol IV, p. 63.

**رابعًا :** حتى يتم السماح لسفراء الإمبراطورية الرومانية بالعودة من البلد الموفدين إليه[١].

وفي حالات كثيرة كان الحاكم يرفض مقابلة السفراء ويأمر بإهانتهم والإساءة إليهم، فكان السفير يبقى على الحدود حتى يقرر الحاكم إذا ما كان سيقابله أم لا[٢]. وهذا ما حدث عندما رفض أتيلا حاكم الهون مقابلة المبعوث الروماني ماكسيمينوس عام ٤٤٩م موضحًا أنه لن يقابل أي سفير سوى من يحمل المرتبة القنصلية، كما حدد أتيلا أسماءً معينة، يأتون إليه كسفراء، وعندما أوضح له ماكسيمينوس صعوبة ذلك أجاب أتيلا أنه في حالة رفض الرومان لهذا الطلب، فسيتم تسوية الخلافات بالسلاح[٣]. كذلك رفض أتيلا أيضًا مقابلة السفير الروماني بلينثاس Plinthas الذي أرسله الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني عام ٤٣٨م لتسوية أمر الإتاوة الذي كان الإمبراطور يدفعها لأتيلا، إلا أن أتيلا غضب من السفير ورفض مقابلته بسبب هذه الإتاوة التي كان ينتظرها، ولم يكتف أتيلا بذلك بل هدد السفير بالقتل إذا لم يُسلّم ما معه من

---

(1) Nechaeva, Embassies, p. 44.
(2) Nechaeva, Embassies, p. 42.
(3) Priscus, p. 257.

عبدالعزيز رمضان : معايير اختيار المبعوثين، ص٢٦، ٢٧.

- اعتاد الرومان أن يرسلوا سفراء ذوي مكانة عالية من القناصل والنبلاء وغيرهم في التفاوض مع الفرس لأنهم أكثر تحضرًا في التعامل مع السفراء، أما البرابرة، فنظرًا لمكانتهم الأدنى، فكان الرومان يرسلون إليهم شخصيات أقل نفوذًا ومكانةً مثل العساكر، إلا أنه بمرور الوقت وتحت = = الضغط العسكري المتزايد من جانب البرابرة فقدت الإمبراطورية الرومانية وضعها في هذه المنطقة وأحس هؤلاء البرابرة بنفوذهم وقوتهم من أجل ذلك بدأوا يطالبون بإرسال سفراء ذوي مكانة عالية للتفاوض معهم. وكان أتيلا أول من طلب ذلك من السفير ماكسيمنوس الذي كان لا ينتمي إلى منزلة عالية والذي أرسله الرومان لإظهار الرفض لمطالب أتيلا حيث قال ماكسيمنوس لأتيلا إنه ليس بحاجة إلى طلب سفراء من ذوي المرتبة العليا لأن تلك لم تكن= =الحالة مع أسلافه من الحكام، وإنما كانت العادة إرسال جنود ورسل عاديين.

Priscus, p. 243, 247.

الهدايا الإمبراطورية، فاضطر السفير بعد هذا التهديد أن يُسلّم الهدايا إلى أتيلا[١].

كذلك أرسل الإمبراطور ليو الأول سفيرًا إلى الفرس وهو كونستانتينوس Constantinus الذي اضطر للانتظار على الحدود وقتًا طويلاً، ثم رُفض استقباله[٢].يضاف إلى ذلك أن كسرى أنو شروان رفض استقبال السفراء الرومان الذين أرسلهم الإمبراطور جستنيان أثناء محاصرة كسرى لمدينة الرُها عام ٥٤٣م لعقد الصلح، فما كان من كسرى عندما علم بوصولهم إلا أن رفض مقابلتهم، ولم يكتف بذلك بل أمر بإهانتهم وطردهم، فعادوا من حيث أتوا[٣]. وفي عام ٥٤٩م أرسل توتيلا سفيرًا يدعى ستيفانوس Stephanus إلى الإمبراطور جستنيان، ليعرض عليه عقد معاهدة سلام لنهاية الحرب مع القوط الغربيين، وأن يصبح الرومان حلفاءً للقوط، إلا أن الإمبراطور جستنيان لم يقبل ذلك، ولم يقبل أيضًا أن يَمثُل السفير القوطي في حضرته، ولم يعره أي اهتمام [٤].

كذلك رفض الإمبراطور جستين الثاني مقابلة السفير الفارسي زيخ Zikh عندما علم بوصوله لمناقشة مسألة منطقة سوانيا Suania، وكان السفير يحمل رسالة تحمل كل عبارات الود والمحبة، مؤكدًا أنه سيسوي كل المشاكل الرومانية وديًا، وبالرغم من كل ذلك رفض جستين مقابلة السفير، حتى لا يعطي له فرصة تحقيق غايته، ولم يكتف جستين بذلك بل أرسل سفيرًا رومانيًا وهو تيموثيوس Timotheus لمقابلة السفير الفارسي على الحدود، لكي يسلمه رسالة جستين، والتي تتضمن أن الإمبراطور لن يقبل أيًا من مقترحاته، فما كان من السفير الروماني إلا أن نفذ أوامر الإمبراطور وخرج إلى

---

(1) Priscus, p. 315; Nechaeva, *Embassies*, p. 43.

(2) Nechaeva, *Embassies*, p. 43.

(٣) حاصر كسرى مدينة الرُها عام ٥٤٣م وشدد عليها الحصار، الأمر الذي جعل الإمبراطور جستنيان يرسل السفراء لإقناع كسرى برفع الحصار، وانتهت المفاوضات بين الطرفين بعقد اتفاقية دفع المال نظير تعهد مكتوب بعدم إلحاق مزيد من الأذى.

Procopius, *History*, vol I, p. 501, 509.

(4) Procopius, *History*, vol V, p. 15.

الحدود ولكنه لم يجد السفير الفارسي، لأنه كان قد سلك طريقًا آخرًا بسبب المرض، الأمر الذي جعل السفير الروماني يذهب بالرسالة إلى كسرى فارس، وأبلغه ما في الرسالة، وأثناء عودته تقابل مع السفير الفارسي زيخ، الذي كان لا يزال مريضًا، وأبلغه بالأمر الذي حدث، فحزن السفير الفارسي على فشل سفارته ومات حزنًا(١).

من هذا العرض يتضح لنا أن استقبال أو رفض استقبال السفير يعتمد كليةً على رغبة الحاكم، وكان يتم إخطار السفراء بهذا وهم لا يزالون في طريقهم. وفي بعض الأوقات كان الإمبراطور يعامل السفراء باحتقار وعدم اهتمام، بالرغم من السماح لهم بمقابلته، فكان الإمبراطور في هذه الحالة يستقبل السفير استقبالاً جزئيًا(٢). وهذا ما حدث عندما جاء إلى القسطنطينية السفير الفارسي ميبودس Mebodes عام ٥٦٧م، وكان هذا السفير ممتلئًا بالتباهي والزهو والتعالي، ظنًا منه أنه سوف يناقش مسألة سوانيا، ويصل إلى تسوية مرضية للفرس، وراح يتصرف مع كل من قابلهم

(1) Menander, *History*, p. 105, 107.

- حاول الإمبراطور جستنيان أن يثبت تبعية سوانيا للإمبراطورية الرومانية فأرسل سفيره بطرس إلى كسرى أنو شروان ليتفاوض معه وإقناعه بأن هذه المنطقة تابعة لازيقا منذ زمن بعيد، وأن لازيقا تقسيمها رومانية، وأظهر لكسرى قائمة بملوك لازيقا الأوائل وحكام سوانيا المختلفين الذين تم تعيينهم من قبل لازيقا الرومانية، إلا أن كسرى انتقد حجة بطرس، ووصفه بعدم قدرته على الإقناع، وانتهت المفاوضات بعقد معاهدة السلام لخمسين عامًا، وعرض المبعوث الروماني على كسرى شراءها بالمال، واستمرت المشكلة قائمة حتى اعتلى جستين الثاني العرش، فأرسل سفيره جون John إلى الفرس لمناقشة مسألة عدم عدالة الاستمرار في دفع الأموال، إلا أن كسرى أوقع السفير جون في خطأ كبير، عندما اتفق معه على أخذ رأي أهل سوانيا، هل = = يريدون التبعية للرومان أم الفرس؟ وهنا تصرف جون بحماقة، ووافق على هذا الرأي، فجاءت نتيجة ذلك في غير صالح الرومان، حيث رفض الأهالي التبعية للرومان، الأمر الذي أغضب جستين، ورأى أن جون فشل في سفارته لأنه تصرف ضد مصلحة الدولة.

Menander, *History*, p. 77, 81, 97, 99, 103; Whitby, M., "Byzantine Diplomacy: Good Faith, Trust and Cooperation in International Relations in Late Antiquity", in : *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. Ph. De Souza & J. France Cambridge, 2008, pp. 120-140, p. 132.

(2) Nechaeva, *Embassies*, p. 43.

بتعالٍ وكبرياء، لا يناسب سلوك سفير، وعندما قابله الإمبراطور جستين الثاني، ووجد منه ذلك التعالي، عامله بازدراء واحتقار، ورفض التطرق إلى مسألة سوانيا، الأمر الذي جعل السفير الفارسي يطلب من مرافقيه أن يتحدثوا مع الإمبراطور بعد أن فشل في الحديث معه(١).

يضاف إلى ذلك أنه في أحيان أخرى كان مصير بعض السفراء السجن أو الاعتقال، دون الاهتمام بحصانتهم، ودون وضع اعتبار لقواعد حماية واحترام السفراء(٢). ففي عام ٤٤٢م، أرسل الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني سفيره هيليون Helion للتفاوض مع الفرس على إقرار السلام، إلا أن السفير أُعتقل وسُجن مدة طويلة(٣). وفي عام ٥٠٣م عندما علم الإمبراطور الروماني أناستاسيوس الأول Anastasius I (٤٩١-٥١٨) أن كسرى فارس قباذ حشد قواته لمحاربته، في الوقت الذي كان فيه الإمبراطور غير راغب في المواجهة العسكرية وإراقة الدماء، من أجل ذلك أرسل الإمبراطور سفيره روفينوس Rufinus، ومعه الهدايا والأموال إلى كسرى فارس ليقنعه بالانسحاب وأخذ الأموال، إلا أن كسرى فارس أمر بسجن السفير ووضعه تحت الحراسة المشددة(٤).

وفي عام ٥٣٩م عزم زعيم القوط الشرقيين فيتيجيس Vittigis (٥٣٦م-

(1) Menander, *History*, p. 107.

- من الجدير بالذكر أن السفير ميبودس كان بصحبته أربعون واحدًا من السرافنة (هذا مسمى أطلقه الرومان على العرب)، أرسلهم زعيمهم لمُناقشة أمر المال الذي كانوا يتلقونه من الإمبراطور جستنيان، ولأن ميبودس فشل في التحدث مع الإمبراطور جستين الثاني، فقد سعى أن يحصل السرافنة على فرصة مقابلة الإمبراطور، حتى لا يعود إلى بلاده خالٍ الوفاض تمامًا.

Menander, *History*, p.107

(2) Nechaeva, *Embassies*, p. 42.

(3) Socrates, *The Ecclesiastical History of Socrates or History of the = =Church from the accession of Constantine*, A. D. 305 to the 38th year of Theodosius II, London, 1853, pp. 354, 355.

(4) Joshua the Stylite, *The Chronicle of Joshua the Stylite. Composed in Syriac A.D. 507*, trans, W. Wright, Cambridge 1882, p. 38.

٥٤٠م) التحالف مع كسرى فارس ضد الإمبراطور جستنيان، فأرسل سفراء من غير القوط حتى لا يكتشف أمرهم، حيث دفع مبلغًا من المال إلى أحد القساوسة وخادمه، وأرسل معهما رسالة إلى كسرى، إلا أن هذين السفيرين أُكتُشِفَ أمرهما من قبل الرومان، حيث قُبض عليهما واشترط القائد الروماني بليزاريوس بعدم إطلاق سراحهما إلا إذا أطلق القوط سراح السفيرين اثناسيوس وبطرس اللذين أُعتقلا من قِبل ملك القوط، وبالفعل أُفرج عنهما، وعادا إلى القسطنطينية معززين مكرمين(١).

يضاف إلى ذلك أن كسرى فارس هورموزد Hormuzd بن كسرى أنو شروان بعد أن سمح لسفراء الإمبراطور جستنيان بالدخول إلى دولته، تلقاهم بالإهانة وعاملهم معاملة سيئة ثم أمر بوضعهم في السجن(٢). كذلك في عام ٥٦٨م قام ملك الآفار بايان Baian باعتقال سفراء الإمبراطور جستين الثاني الذين أُرسلوا لمناقشة بعض الأمور الهامة، وكان هذا العمل ومثله يعد خرقًا لحقوق السفراء المتعارف عليها دوليًا(٣). وفي عام ٦٠٣م اعتقل كسرى فارس خسرو برويز الشاهنشاه (٥٩٠-٦٢٨م) السفير بيليوس Bilios الذي أرسله الإمبراطور فوقاس Phocas (٦٠٢-٦١٠م) لتسوية بعض الخلافات، إلا أن خسرو اعتقل السفير، وألقى به في السجن حتى لا يستطيع العودة إلى بلاده، ولم يكتف خسرو بذلك بل أرسل إلى فوقاس رسائل مهينة(٤).

---

(1) Procopius, *History*, vol IV, p. 63.

(٢) اختلف هورموزد كثيرًا عن والده كسرى أنو شروان، فكان متغطرسًا متكبرًا، لدرجة أنه لم يرسل الشارات المألوفة التي كان يرسلها أكاسرة الفرس عندما يعتلي أحدٌ منهم العرش للإمبراطور الروماني، وفقًا للعادة المتبعة بينهم حتى لو كانت هناك حرب بينهم لأنه عرفٌ راسخٌ، فقد = =أرسل أبوه كسرى أنو شروان عندما تولى الحكم، للإمبراطور جستنيان هذه الشارات، وبالتالي أرسل الإمبراطور جستنيان إلى كسرى الهدايا والخطابات الملكية.

John of Ephesus, *Ecclesiastical History*, p. 424.

(3) Menander, *History*, p. 132.

(4) Theophanes Confessor, *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History A.D 284-813*, trans, C. Mango & R. Scott, Oxford 1997, p. 419.

يضاف إلى ذلك أن الإمبراطور موريس Moris (٥٨٢-٦٠٢م) أمر عام ٥٨٦م باحتجاز السفير الآفاري المخضرم تارجيتس Targitis الذي جاء إلى القسطنطينية أثناء حالة العداء مع الآفاريين، حيث تم احتجازهم في جزيرة كالسيدس Chalcidis لمدة ستة أشهر، إلا أن الإمبراطور موريس لم يصدر أمرًا بقتل السفير طوال هذه المدة خوفًا من تبعيات هذا التصرف(١).

كما تعرض بعض السفراء للمعاملة السيئة والمضايقات التي وصلت إلى حد منع الطعام والمياه عنهم، وكذلك استنشاقهم الهواء الطلق مما يؤدي إلى مرضهم، أو موتهم، مثال لذلك الظروف السيئة والمرعبة والمهينة التي مر بها السفيران الرومانيان زكريا Zacharias وثيودوسيوس Theodosius في بلاد فارس لمدة ثلاثة أشهر، حيث مرا بالعديد من المضايقات لدرجة أن الحارس المكلف بحراستهما لم يسمح لهما باستنشاق الهواء الطلق أو حتى إخراج رأسيهما من المبنى الذي أقاما به، وكان مكان إقامتهما مظلمًا وسيء التهوية، وغير مناسب للسكنى في هذه الفترة من الصيف، ولهذا كان أقرب إلى السجن، واستمر هذا الوضع من الإهانة وسوء المعاملة أثناء رحلة عودتهما إلى بلادهما، كما أنهما تعرضا للعديد من الصعوبات منها نقص الطعام والمؤن مما تسبب في مرض كليهما، كما اقتادهما الفُرس عن قصد في طريق خطأ ملئ بالمخاطر، ولهذا قال لهم المبعوثان الرومانيان: "إذا كنتم تودون قتلنا، فلما لا تفعلون ذلك صراحة، بدلاً من أن تحضرونا إلى هنا لنموت من التعب بين الجبال الموحشة؟"(٢).

وفي أحيان أُخرى كان الحاكم عندما يريد أن يتنصل من تنفيذ معاهدة مع الطرف الآخر، لا يتردد في اتهام السفراء بالعديد من الجرائم التي تؤدي إلى فشل السفارة(٣). وقد حدث ذلك بالفعل مع السفيرين أثناسيوس وبطرس اللذين أُرسلا من قبل الإمبراطور جستنيان إلى ملك القوط

(1) Nechaeva, *Embassies*, p. 63.
(2) Nechaeva, *Embassies*, p. 63.
(3) Nechaeva, *Embassies*, p. 50.

الشرقيين ثيوداتوس[١]، فعندما أراد أن يتنصل من اتفاقه مع الإمبراطور جستنيان، استدعى السفراء وقال لهم علانية إن "مكانة السفراء مثار للفخر، وتحتل موضع التشريف بين سائر الرجال، إلا أن السفراء يحتفظون لأنفسهم بامتيازاتهم طالما حافظوا على وقار سفارتهم بلياقة سلوكهم، فالأمم أقرت بقتل المبعوث عندما يهين الحاكم أو إذا ثبت عليه إقامة علاقة آثمة بامرأة لزوج آخر". فكانت تلك هي الاتهامات التي اتهم بها ثيوداتوس السفير بطرس لا لأنه ارتكب خطيئة مع امرأة، وإنما ليجد المبرر لقتله، إلا أن بطرس رد عليه قائلاً: "إن الحقيقة ليست كما ذكرتها، ولا يمكنك تحت ستار أعذار واهية أن ترتكب أفعالاً جائرة ضد رجال هم سفراء لديك، لأنه من المحال لسفير، حتى وإن أراد أن يرتكب خطيئة الزنا، إذ ليس من السهل له مجرد رشف الماء إلا بإرادة من يحرسونه". وبعد دفاع السفراء عن أنفسهم، اكتفى ثيوداتوس بوضع السفراء تحت الحراسة المشددة[٢].

كذلك عندما أراد جستين الثاني عدم منافشة مسألة سوانيا مع السفير الفارسي ميبودس Mebodes، والسرافنة (العرب) المرافقين له الذين طلبوا مقابلة الإمبراطور، وعندما علم الإمبراطور بذلك استدعى السفير وسأله ماذا يريد أتباعك السرافنة ؟! وسمح للسفير فقط بالاقتراب منه، ولأنه يعلم أن السفير سيرفض الاقتراب من

---

(١) من الجدير بالذكر أنه بعد وفاة ثيودريك عام ٥٢٩م تولى بعده أتالاريك Atalaric ابن بنت ثيودريك أمالاسونثا Amalasuntha وكان في الثامنة من عمره، فتولت الوصاية عليه جدته أمالامونتا، وقد راح ثيوداتوس بن أمالافريدا Amalafrida شقيقة ثيودريك، يستولى على أغلب الأراضي في توسكانيا Tuscany، مما أدخله في صراع مع أمالاسونثا، فخطط لتسليم توسكانيا إلى الإمبراطور جستنيان حتى يتسنى له قضاء بقية حياته في بيزنطة متمتعًا بالمال والمنصب السناتوري الرفيع، فأرسل سفراءً لإبلاغ جستنيان بذلك، الأمر الذي أسعد جستنيان وجعله يرسل السفيرين بطرس وأثناسيوس لإتمام الاتفاق، وتم الاتفاق مع ثيوداتوس على تسليم مملكته نظير مبلغ سنويًا وإمضاء بقية حياته كمزارع، إلا أن الأمور تغيرت بوفاة أتالاريك عام ٥٣٥م، حيث قام ثيوداتوس بالانقلاب على امالاسونثا واحتجزها في قلعة وشدد الحراسة عليها، في الوقت الذي كان سفراء جستنيان يتفاوضون مع ثيوداتوس لتنفيذ ما وعد به.

Procopius, *History*, vol III, p. 15, 23, 25, 33, 53, 55.

(2) Procopius, *History*, vol III, p. 61, 64, 65.

الإمبراطـور دون اتباعـه، ولأن السـفراء السـرافنة (العـرب) قـد مثُلـوا مـن قبـل أمـام الإمبراطور جستنيان، فإنه سيرغب في الأمر نفسه والحفاظ على التقليد. وهكذا ظن جستين أنه يستطيع القول بأنه تصرف بما يليق بإمبراطور بينما السرافنة (العرب) لا يعرفون ما هو لائق، ومن ثم يلقى باللائمة على السفير الفارسي(١).

وجرت الأمور كما رغب الإمبراطور، حيث اعتبر السرفني أنه من غير اللائق أن يمثُل بين يدي الإمبراطور بمفرده واختار ألا يخالف الممارسة السابقة، ورفض الاجتماع وبعد أيام قليلة جاء السفير الفارسي إلى القصر ثانية، وسأل بإصرار السماح للسرافنة بالمثول، وعندما رفض الإمبراطور، صرخ السفير "ليس من العدالة أن تنكر علي ما منح للسفير زيخ Zikh الذي جاء من قبل، حيث سُمح لمرافقيه من السرافنة بالمثول معه أمام الإمبراطور. ويجب أن أُمنح الامتياز نفسه، وإلا صار هناك نقض للاتفاق بين الرومان والفرس". وهنا غضب الإمبراطور وقال له:" ماذا ! هل لو أن زيخ أُعتقل متلبسًا بالزنا وأية جريمة خطيرة أخرى، فهل نعاملك مثله؟؟ هل تدرك أنك تخاطب إمبراطور الرومان جستين؟؟". وهنا امتلأ ميبودس خوفًا وارتمى على الأرض، قائلاً إنه لم يقل شيئًا من هذا القبيل. وقدم اعتذارًا عما بدر منه، فقبل الإمبراطور اعتذاره، وقال ميبوديس أن مترجمنا قد أخطأ الترجمة"(٢).

وفي حالات أخرى كان الحاكم يأمر بقتل السفير وهو في بلاطه ضاربًا بالأسس والقواعد الدبلوماسية عرض الحائط. وهذا ما حدث خارج الإمبراطورية عندما أرسل خاقان الترك سيزابول سفراء إلى كسرى فارس أنوشروان، ليطلب منه إقامة علاقات صداقة ومودة معه، وعندما وصلت هذه السفارة التركية، عقد كسرى اجتماعًا وناقش فيه طلب خاقان الترك، حيث قرر الجميع أنه ليس من مصلحة الفرس إقامة

(1) Menander, *History*, p.107.
(2) Menander, *History*, p.109.

علاقات صداقة مع الترك، لأنهم غير جديرين بالثقة، ومن أجل ذلك أمر كسرى بوضع السم في الطعام للسفراء الأتراك، الأمر الذي أدى إلى قتلهم جميعًا وكان عددهم نحو ثلاثة أو أربعة سفراء، ثم أشيع بين الفرس أنهم لقوا حتفهم بسبب برودة الجو الشديدة في تلك الفترة، إلا أن خاقان الترك بذكاءه أدرك الحقيقة وتيقن أن سفراءه ماتوا غدرًا وكان ذلك سبب العداء بين الفرس والترك(١).

وفي بعض الأحيان كان يمنع السفراء من دخول البلاد، ولا يسمح لهم باجتياز الحدود، إذا دارت حولهم الشكوك، فقد حدث ذلك عندما اتفق الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني مع السفير الهوني ايدوكو Edoco على قتل أتيلا، ومن أجل ذلك أرسل معه كلاً من فيجيلاس Vigilas وماكسيمينوس لتنفيذ المؤامرة، إلا أن أتيلا شك في هذه السفارة، ورفض مقابلتهم حتى يعرف سبب قدومهم، وخاصة أنهم كانوا يحملون أموالاً كثيرة، فما كان من أتيلا إلا أن أمر بالقبض على السفراء ومصادرة هذه الأموال، ثم سألهم عن السبب في حمل هذه الأموال الضخمة من الذهب، فأجابه فيجيلاس، إن هذه الأموال من أجل نفقته ومن معه على المؤن والخيول وما يلزمهم طوال مدة السفارة، فضلاً عن فداء عدد كبير من الأسرى، لأن عددًا كبيرًا من أهالي الإمبراطورية ناشدوه فداءً أقاربهم(٢). إلا أن أتيلا لم يقتنع بهذه المبررات وأجابه بأن ما يحمله يفوق أضعاف التكلفة التي يتحدث عنها. وهنا أمر أتيلا بإحضار ابن فيجيلاس، الذي كان موجودًا ضمن أعضاء السفارة مع والده، وهدد أتيلا بقتل الابن بالسيف إذا لم يخبره فيجيلاس عن السبب الحقيقي لهذه السفارة، وهنا انهار فيجيلاس

(1) Menander, *History*, p. 111, 113, 115.

- من الجدير بالذكر اعتاد الفرس أن يطلقوا اسم الاتراك على الهون Huns.

Theophylact Simocatta, *The History of Theophylact Simocatta*, trans. M. & M. Whitby, Oxford, 1986, p. 269.

(2) Priscus, p. 247, 255.

واعترف له بالمؤامرة كاملة التي دبرها مع السفير الهوني ايدوكو ثم توسل لأتيلا أن يقتله بدلاً من ابنه. فأمر أتيلا باحتجاز فيجيلاس وعدم اطلاق سراحه حتى يعود ابنه ثانية حاملاً معه خمسين قطعة ذهبية كفداء له(١).

كذلك عندما أرسل كسرى فارس أنو شروان سفارة إلى الإمبراطورة الرومانية برئاسة السفير إيزديجوسناس عام ٥٥٢م الذي صحب معه خمسمائة من أشجع المحاربين الفرس، وأمرهم أن يدخلوا مدينة دارا وأن يتخذوا فيها مساكن لهم، وفي الليل يشعلون فيها النيران، وعندما ينشغل سائر الأهالي بهذه الحرائق، كما هو متوقع، يفتحون البوابات على الفور، حتى يدخل بقية الجيش الفارسي إلى داخل المدينة، فقد صدرت الأوامر من قبل بإخفاء قوة كبيرة من الجنود بالقرب من دارا وأن يكونوا على أهبة الاستعداد(٢).

وبهذه الطريقة اعتقد كسرى فارس أنهم بهذه الطريقة سيقضون على أعداد كبيرة من الرومان دون مقاومة وسيحتلون مدينة دارا بسهولة، إلا أن أحد الأشخاص كان يعرف ما تم تدبيره وهو روماني الأصل كان قد هرب إلى الفرس قبل ذلك بفترة قصيرة، فأخبر القائد جورجيوس Georgius بتفاصيل هذه المؤامرة لذلك خرج جورجيوس إلى الحدود بين الأراضي الرومانية والفارسية حيث قابل السفير الفارسي، وقال له إن هذه الرفقة لا تبدو كسفارة، وإنه من المستحيل أن يدخل هذا العدد الضخم إلى إحدى المدن الرومانية ليلاً، وإنه

(1) Priscus, p. 295, 296.

- لم يكتف أتيلا بذلك بل أرسل سفراءه إلى ثيودوسيوس، وأمرهم أن يدخلوا على الإمبراطور ومعهم الحقيبة التي كان فيجيلاس يحمل فيها الذهب المرسل إلى ايدوكو، وأن يخبروا الإمبراطور بأن مؤامرته قد فشلت، ولم ينج من هذا الجرم. Priscus, p. 297.

(2) Procopius, *History*, vol I, p. 525.

عليه أن يتركهم ويدخل بمفرده مدينة دارا ومعه عدد قليل من رجاله، الأمر الذي أثار غضب السفير الفارسي، حيث اعتبر ذلك إهانة كبرى لسفير مرسل في سفارة إلى الإمبراطور الروماني، إلا أن القائد الروماني جورجيوس لم يهتم بغضبه، وهكذا استطاع القائد الروماني أن ينقذ المدينة من دخول ذلك العدد الكبير، حيث سُمِح للسفير الفارسي أن يدخل دارا ومعه عشرون رجلاً فقط(١).

ومن العرض السابق يتضح أنه على الرغم من وجود الأسس والقواعد التي على أساسها يتم التعامل مع السفراء، والتي أقرت باحترامهم ومعاملتهم معاملة تليق بمكانتهم ومكانة الحاكم الذي أرسلهم، فأصبح السفير بذلك يتمتع بالحصانة والحماية في البلاط المرسل إليه.

إلا أن هذه القواعد وتلك الأسس لم تُحترم من جانب الممالك البربرية وتلك التي أحاطت بالإمبراطورية الرومانية، حيث أُخترُقت ولم يُلتزم بها، الأمر الذي جعل بعض السفراء يتعرضون للمعاملة السيئة من تجاهل وعدم المقابلة، كذلك تعرض بعضهم للسجن والقتل، أو الشك في أمرهم، ووضعهم تحت الحراسة المشددة، ومطالبتهم بالتخلي عن أسلحتهم.

كما أُتضح أيضًا أن هذه المعاملة المسيئة للسفراء كانت تحدث عندما تكون العلاقات متأزمة بين البلدين، فيتم التعامل مع السفير بأسلوب غير لائق.

أما في حالة وجود علاقات سلمية وودية بين الطرفين كان يُعامل السفراء معاملة حسنة ويتم استقبالهم بحفاوة وترحاب ويُمنحون الأموال والهدايا الثمينة وتقام لهم الاحتفالات والولائم.

(1) Procopius, *History*, vol I, p. 525, 527.

# المصادر والمراجع

**أولاً : قائمة المصادر الأجنبية :**


1) Agathias, The Histories, trans, J. D, Frendo, New York, **1975**.
2) Ammianus Marcellinus, The Later Roman Empire A.D. **354-378,** trans, W-Hamilton Penguin Books, London, New York **1986**.
3) Constantine Porphyrogennetos, The Book of Ceremonies, trans. A. Moffatt & M. Tall, Conberra, **2012**.
4) Eunapius, The Lives of the Sophists, trans, W. C. Wright, London, New York, **1922**.
5) John of Ephesus, The Third part of the Ecclesiastical History, trans. R. P. Smith, Oxford, **1860**.
6) John Lydus, On Powers or the Magistarcies of the Roman State trans. A. C.Bandy, Philadelphia, **1983**.
7) Joshua the Stylite, The Chronicle of Joshua the Stylite. Composed in syriac A.D. **507**, trans, W. Wright, Cambridge **1882**.
8) Malchus, in: the Fragmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire, trans. R. C. Blockley, LiverPool, **1983**, pp. **402-462**.
9) Menander, The History of Menander the Guardsman, trans R. C. Blockley, Liverpool **1985**.
10) Priscus, in: The Frogmentary Classicising Historians of the Late Roman Empire, trans R. C. Blockley, Liver Pool, 1983, pp. 222-400.
11) Procopius, History of the Wars, 5 vals, ed, & trans, H. B. Dewing the Loeb Classical Library, Cambridge Mass, London **1992**.
12) Socrates, The Ecclesiastical History of Socrates or History of the Church from the accession of Constantine, A. D. **305** to the **38th** year of Theodosius II, London, **1853**.
13) Theophanes Confessor, The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History A.D **284-813**, trans. C. Mango & R. Scott, Oxford, **1997**.
14) Theophylact Simocatta, The History of Theophylact Simocatta, trans. M & M. Whitby, Oxford, **1986**.
15) Zachariah of Mitylene, The Syriac Chronicle known as that of Zachariah of Mitylene, trans F. J. Hamilton, & E.W. Brooks, London **1899**.

**ثانيًا : قائمة المراجع الأجنبية :**


1) Blockely, R. C., "Doctors as Diplomats in the Sixth Century A. D.", *Florilegium* 2 (**1980**), pp. **89-100**.
2) Boak, A. E. R., *The Master of the Offices in The Later Roman and Byzantine Empires*, New York, London, **1919**.
3) Delgado, A. F., " Capitis Deminutio: Exile, Banishment and Punishments to Ambassadors during Justinian's Era ", Porphyra Confronti su Bisanzio, I, a cura di Elodie Guilhem: Rencontres annuelles des doctorants en études byzantines, **2012, pp. 40-61.**
4) Dignas. B., Winter-E, Rome and Persia in Late Antiquity, Neighbours and Rivals, Cambridge, **2007**.
5) Lee, A. D. Information and Frontiers; Roman Foreign Relations in Late Antiquity, Cambridge, 1993.
   - " Treaty-Making in Late Antiquity ", in: War and Peace in Ancient and Medieval History, ed. ph. De Souza & J. France, Cambridge, **2008**, pp. **107-119**.
6) Mathisen, R. W., " Patrici, episcope, et sapientes: le choix des ambassadeurs Pendant l'antiquité tardive dans l, empire romain et les royaumes barbares " ,in: Ambassadeurs at ambassades au Coeur les relations diplomatiques, Rome-Occident Médiéval – Byzance (VIIIe s avant J.- C.- XIIe s. aprés J.-C), ed. A Becker & N Drocourt, Metz, **2012**, pp. **227-238**.
7) Nechaeva, E., Embassies, Negotiations, Gifts : Systems of East Roman Diplomacy in Late Antiquity, Stuttgart, **2014**.
8) Vasiliev, A. The Byzantine Empire, Madison, **1952**.
9) Whitby, M., " Byzantine Diplomacy : Good Faith, Trust and Co-operation in International Relations in Late Antiquity ", in : *War and Peace in Ancient and Medieval History*, ed. ph. De Souza & J. France, Cambridge, **2008**, pp. **120-140**.


**ثالثًا : قائمة المارجع العربية :**

١) **عمر توفيق:** الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين دراسة تحليلية وثائقية في التاريخ الدبلوماسي (٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٧-١٢٩١م)، الإسكندرية ١٩٨٦م.

٢) **رأفت عبدالحميد:** قواعد الدبلوماسية البيزنطية، بحث منشور في كتاب بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٠٣-١٤١.

٣) **عبدالعزيز رمضان:** معايير اختيار المبعوثين الدبلوماسيين في العصر البيزنطي الباكر، بحث منشور في حولية مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، أبرل ٢٠١٦م.

٤) **دونالد نيكول:** معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م.

٥) **ياقوت الحموي:** معجم البلدان، طبعة بيروت ١٩٦٨م.